الأب كاريون

١ ـ قال الأب كاريون : لقد بذلت جهوداً كثيرة تفوق ما بذله ابني زخريا ، ولم أبلغ بعد إلى قامته في التواضع والصمت .

٢ ـ كان في الاسقيط راهب يدعى كاريون . هذا كان له ولدان ، تركهما عند زوجته وترهب . وبعد زمن يسير ، حدثت مجاعة كبيرة في مصر ، فضاق صدر الزوجة ، فنهضت وجاءت إلى الاسقيط ومعها الولدان ، الواحد صبي ويدعى زخريا ، والثاني فتاة . فجلست على مسافة من الواحة ، وذلك لأن الاسقيط كان محاطاً ببعض الواحات المترامية هنا وهناك . وقد شيّدت الكنائس قرب ينابيع المياه . وقد جرت العادة في الاسقيط أنه ، إذا جاءت امرأة تريد الكلام مع أحد الاخوة أو مع أحد أنسبائها ، كانا يتحدثان عن بعد . عندئذ قالت المرأة للأب كاريون : ها قد أصبحت راهباً والمجاعة حاصلة ، ترى من سيطعم وَلَدَيكَ ؟ قال لها : ارسليهما إلي إلى ههنا . فقال المرأة للوالدين : إذهبا الى أبيكما . ولما هما بالتوجه نحوه ، استدارت الفتاة وعادت إلى أمها . أمّا الصبي فجاء إلى أبيه . عندئذ قال لها : أنظري ما حصل . الفتاة لك ، والفتى لي . فكان يهتم بالصبي والجميع عرفوا أنه أبيه . وصار الصبي شاباً ، فحصل تذمر بين الاخوة . فلما وصل النبأ إلى الأب كاريون ، قال لابنه : زخريا ، انهض يا بني لنرحل من هنا ، لأن الآباء يتذمرون . قال الصبي : أعتقد أنه يجب تصحيح العبارة على الوجه الآتي : وماذا تنتفع من الرحيل طالما أن الجميع ، حيثما ذهبنا ، يعرفون أنني ابنك . قال الأب : انهض لنرحل من هنا . فذهبا إلى طيبة واقاما في قلاية لبضعة أيام . وهناك أيضاً

حصل تذمر بسبب الصبي ، فقال الأب : زخريا ، انهض لنعود إلى الاسقيط . ولما رجعا ، لاحظا التذمر ذاته . عندئذ مضى الصبي زخريا إلى بحيرة النيطرة وخلع ثيابه ونزل إلى الماء حتى أنفه ومكث فيه على هذه الحال وقتاً طويلاً على قدر ما استطاع أن يحتمل ، حتى صار جسده كجسد إنسان أبرص . ولما خرج من الماء ، لبس ثيابه وعاد إلى أبيه ، للحال عرفه . ولما ذهبا إلى الكنيسة حسب مألوف العادة لتناول جسد الرب ودمه ، انكشف للقديس إيسيذورس أمر الصبي وما فعله بنفسه ، فلما رأى ذلك ، تعجب وقال : زخريا الصبي ، لما تقدم في الأحد الماضي لتناول الجسد والدم الطاهرين ، كان إنساناً ، أمّا الآن فقد أضحى ملاكاً .

الأب كوبريس

١ ـ قال الأب بيمن عن الأب كوبريس إنه قد وصل إلى قامة رفيعة من القداسة حتى إنه، لما مرض ولازم الفراش ، كان يشكر الله ويقطع إرادته .

٢ ـ قال الأب كوبريس : هنيئاً لمن يحتمل التعب بشكر .

٣ ـ اجتمع مرة كل سكان الاسقيط من أجل مسألة ملكيصادق ونسوا أن يدعوا الأب كوبريس إلى الإجتماع . لكن بعد حين ، عادوا فدعوه . فلما جاء ، سألوه عن الموضوع نفسه . أمّا هو فضرب على فمه ثلاث مرات قائلاً : الويل لك يا كوبريس لأنك قد أهملت كل ما طلبه الله منك وشرعت تفتش عمّا لم يطلبه . فلما سمع الأخوة هذا الكلام ، قفلوا عائدين إلى قلاليهم[1] .

---

(١) كان الحديث المطروح يدور حول شخصية ملكيصادق هل هي إنسانية أم إلهية .

الأب كيرس

١ ـ عندما سُئل الأب كيرس الاسكندري عن فكر الزنى ، قال : إن لم يكن عندك فكر ، لا يكُنْ عندك رجاء . وإن لم يكن عندك أفكار ، فعندك عمل . وهذا يعني أن من لا يحارب الخطيئة في الفكر ويعارضها ويقاومها ، فإنّه يمارسها جسدياً ، لأنمن يعمل لا تزعجه الأفكار . سأل الشيخ الأخ قائلاً : تُرى هل أنت معتاد على مقابلة النساء ؟ أجابه الأخ : كلا ، لأن أفكاري هي مصوّر حديث وقديم ، وتزعجني ذكريات المرأة وصورتها . فقال الأب : لا تكن من الأموات خائفاً ، إنما تحاشَ الأحياء ، وأطِل صلاتك .

الأب لوكيوس

١ ـ زار بعض الرهبان المدعوين « المصلّين » (يدعون أيضاً ميساليين لأنهم ينادون بالصلاة ويهملون العمل) ، الأب لوكيوس فسألهم : ما هو عملكم اليدويّ ؟ قالوا : نحن لا نعمل إنما ، كما يقول الرسول بولس ، نصلّي بلا انقطاع . قال لهم الأب لوكيوس : ألا تأكلون ؟ قالوا : نعم . قال لهم : عندما تأكلون ، من يصلّي عنكم ؟ ثم قال لهم : ألا تنامون ؟ قالوا له : نعم . فقال لهم : ومن يصلّي عنكم أثناء نومكم ؟ فلم يجدوا ما يجيبونه به . فقال لهم : سامحوني يا إخوتي ، إنكم لا تفعلون ما تقولون . أمّا أنا فأثبت لكم أني بعملي أصلّي بدون انقطاع . اجلس للعمل بمعونة الله وأحوك الخوص وأنا أردد : « ارحني يا الله كعظيم رحمتك وكمثل كثرة رأفتك امح مآثمي » . ثم قال لهم : أليست هذه صلاة ؟ قالوا : نعم . قال لهم : إذن عندما أعمل وأصلّي أربح فوق عملي وصلاتي ست عشرة قطعة نقدية ، أتصدّق بإثنتين منها وأعيش بالباقي . والذي أتصدق عليه يصلّي من أجلي . وعندما آكل وأنام تتم صلاتي بنعمة الله بدون انقطاع .

الأب لوط

١ ـ جاء أحد الآباء إلى الأب لوط عند الواحة الصغرى المدعوة ارسنويتي وطلب منه قلاية فأعطاه . وكان الضيف مريضاً ، فأراحه الأب لوط . ولما جاء البعض لزيارة الأب لوط ، جعلهم يفكرون في الأب المريض ، فبدأ ذاك يسمعهم بعضاً من أقوال أوريجنس . فحزن الأب لوط و فكر في نفسه : «تُرى هل يظن هؤلاء أننا هكذا » . لكنه خاف ، حرصاً على الضيافة ، أن يطرده من المكان . فقام ومضى إلى الأب ارسانيوس وأخبره عمّا يقلقه ، فقال له ذاك : لا تطرده ، لكن قل له : خذ من خيرات الله ما طاب لك ، كل واشرب ، لكن لا تتكلم هكذا . فإذا أراد أن يصطلح ، قبل كلامك ، وإذا أبى ، فإنه سرعان ما يطلب الرحيل فلا تكون أنت السبب . فمضى الأب لوط وفعل هكذا . فلما سمع المريض هذا الكلام ، لم يرد أن يتعظ ، وبدأ يتضرع بالكلام قائلاً : حباً بالله ، خذني من ههنا ، لأني لا أقدر أن أحتمل البرية . وهكذا نهض وخرج والأب لوط يودّعه بمحبة[1] .

٢ ـ حدّثنا إنسان عن أخ وقع في الخطيئة ، أنه زار الأب لوط وكان مضطرباً ، حتى إنه كان يدخل ويخرج دون أن يتمكن من الجلوس . فسأله الأب لوط : ما بك يا أخي ؟ قال : لقد سقطت في زلة عظيمة ولا أقدر أن أبوح بها للآباء . قال له الأب لوط : اكشفها لي وأنا أحتملها . عندئذ قال ذاك : لقد وقعت في الزنى ، فقدّمت ذبيحة لكي يُرشدني الله إلى الصواب . قال له الأب : تشجع يا أخي ، فالتوبة أمامك . اذهب واجلس في الكهف عاكفاً على الصيام يومين يومين ، وأنا أحتمل معك نصف الخطيئة . ولما تمت الأسابيع الثلاثة ، تيقن الأب أن الله قد قبل توبة الأخ . وهكذا بقي ذاك خاضعاً للأب لوط حتى رقاده .

(١) وكان النزاع حول أوريجنس قد أصبح حاداً في الصحراء منذ القرن الرابع .

الأب لونجينس

١ ـ سأل الأب لونجينس الأب لوكيوس عن أفكار ثلاثة قائلاً : أريد أن أعيش في غربة . قال له الشيخ : إذا لم تحفظ لسانك ، لن تكون غريباً أينما حللت . إحفظ لسانك هنا ، فتصير غريباً . قال له أيضاً : أريد أن أصوم . أجابه الشيخ : قال النبي أشعياء : «إذا أحنيت عنقك كما الى طوق حديدي ، لن يسمّى هذا صوماً مقبولاً » (أشعياء ٥٨ : ٥) ، لكن بالحري أضبط الأفكار الشريرة . ثم قال له ثالثة : أريد أن أهرب من الناس . أجابه الشيخ : إذا لم تحقق الفضيلة مع الناس أولا ، لا تستطيع بمفردك ، وأنت في البرية ، أن تحققها .

٢ ـ قال الأب لونجينس : إذا ما صنعت شراً ، قل : « إصنع الشرّ ومت ». ولكن إذا طلبت مني الطعام في غير أوانه ، فلن أقدم لك حتى غذاءك اليومي .

٣ ـ كان ثمة امرأة تشكو من داء السرطان في صدرها . فلما سمعت بالأب لونجينس ، طلبت أن تراه وكان يقيم في غرب الاسكندرية . فلما مضت إليه ، وجدته يجمع الحطب قرب البحر ، فقالت له : أين يقيم الأب لونجينس عبد الله يا أبت ؟ ولم تكن تعرف أن الذي تكلمه هو لونجينس نفسه . فقال لها الأب لونجينس : وماذا تريدين من هذا المخادع الغشاش ؟ لا تذهبي إليه . ثم سألها عمّا بها ، فكشفت له المرأة عن دائها ، فبارك الموضع ، وأطلقها قائلاً : إذهبي ، والرب يشفيك ، لأن لونجينس لا يمكنه أن ينفعك البتة . فمضت المرأة مؤمنة بما قال لها ، وللحال شفيت من دائها . وبعد حين

قصّت على الناس أمرها ووصفت لهم ملامح الأب الذي باركها ، فقالوا لها إن من باركها هو لونجينس نفسه .

٤ ـ ذات يوم أحضروا إليه إنساناً به شيطان ، فقال لهم : ليس لي ما أقدمه لكم ، لكن إذهبوا به إلى الأب زينون . وبعد أن أخذوه إليه ، بدأ ذاك ينتهر الشيطان ليخرجه . أمّا الشيطان فكان يصرخ ويقول : هل تعتقد يا زينون أنني بسببك أخرج الآن ؟ إن لونجينس يصلّي إلى الله ضدي . فأنا أخاف صلواته ، أمّا أنت فلا أكترث لك .

٥ ـ قال الأب لونجينس للأب اكاكيوس : المرأة تعرف أنها قد حبلت ، عندما يتوقف دمها . هكذا النفس ، فإنها تحبل بالروح القدس عندما تتوقف الأهواء التي تجري من تحتها . فإذا كانت تساكن الأهواء ، كيف تقدر أن تتظاهر بعدم الهوى ؟ أعط دماً وخذ روحاً .

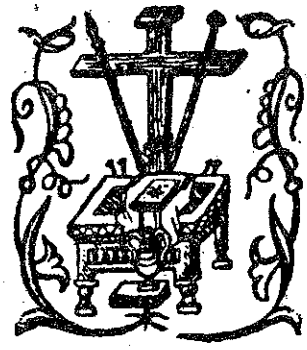

الأب مكاريوس المصري

١ ـ قال الأب مكاريوس عن نفسه : لما كنت أصغر سناً ، كنت أقيم في قلاية في مصر ، فأمسكوني وجعلوني كاهناً على القرية . ولما لم أقبل ، هربت إلى موضع آخر . فجاء إليّ انسان تقي من أهل الدنيا كان يأخذ مني عمل يدي ويخدمني . وحدث أن إحدى العذارى قد أُخذت بزلّة في تلك القرية . فلما حبلت ، سألوها : من هو الفاعل ؟ قالت : الراهب . فخرجوا وأمسكوني وعلّقوا في عنقي قدوراً ساخنة وطافوا بي القرية وهم يضربونني ويقولون : لقد أفسد هذا الراهب عذراءنا ، خذوه ، خذوه . فضربوني حتى أوشكت أن أفارق الحياة . وحدث أن جاء أحد الآباء فقال لهم : حتى متى تضربون هذا الراهب الأجنبي ؟ وكان الذي يخدمني يسير ورائي خجلاً لأنهم شتموه أيضاً وقالوا له : أنظر إلى الناسك الذي كنت تشهد له ، وعاين ما فعل . ثم قال أهل الفتاة : لن نطلقه حتى نسمع أنه قد قطع عهداً بإعالتها . فقلت لخادمي : تكلم عني واقطع هذا العهد . ولما عدت إلى قلايتي ، أعطيته كل السلال التي كانت عندي ، وقلت له : بع هذه ، وأعط ثمنها لزوجتي فتأكل . أمّا أنا فجلست أقول في نفسي : مكاريوس ، ها قد وجدت لنفسك زوجة ، لذا ينبغي أن تعمل أكثر حتى تعولها . وكنت أعمل الليل والنهار مقدماً لها ثمار تعبي . فلما حان وقت ولادتها ، ظلت أياماً عديدة تتألم دون أن تلد ، فقالوا لها : ما هذا ؟ قالت : أنا أعرف . إن هذا يحدث لي بسبب التهمة التي ألصقتها بالراهب وهو مني بريء . أمّا المذنب فهو الشاب الفلاني . فجاء خادمي وأبلغني بفرح كبير ، أن الفتاة لم تقدر أن تلد حتى

اعترفت بالحقيقة كلها ، وان كل القرية تريد القدوم إلى ههنا للإعتذار والتوبة . فلما سمعت هذا ، نهضت وهربت إلى الاسقيط كي لا يحزنوني . وهذا هو السبب الذي من أجله أتيت إلى ههنا .

٢ ـ جاء ذات يوم الأب مكاريوس المصري من الاسقيط إلى جبل النطرون للإشتراك في الخدمة الإلهية التي يقيمها الأب بمفو . فقال له الشيوخ : قل للاخوة كلمة يا أبانا : أجابهم الأب مكاريوس : أنا لم أصبح راهباً بعد ، إنما رأيت رهباناً ، لأني ، لما كنت ذات يوم في قلايتي في الاسقيط ، أزعجتني أفكار كثيرة قائلة لي : انطلق الى البرية وانتبه لما تراه هناك . وبقيت خمسة أعوام في حرب مع الأفكار قائلاً لها : ترى هل هذه الحروب من الشياطين ؟ ولما استمر الفكر يزعجني ويقضّ راحتي ومضجعي ، قمت ومضيت إلى البرية ، وهناك وجدت بحيرة تتوسطها جزيرة صغيرة ، كانت الوحوش تأتي اليها لتشرب . فرأيت بين الحيوانات الكثيرة إنسانين عاريين ، فارتعد جسدي ، لأني اعتقدت انهما روحان . فلما لمحاني ، وأنا مرتعد ، قالا لي : « لا تخف نحن بشر مثلك » . فقلت لهما : ومن أين أنتما ؟ وكيف أتيتما إلى هذه البرية ؟ قالا : كنا نعيش في دير ، وقد اتفقنا فيما بيننا على المجيء إلى هنا . وقد صار لنا في هذه الديار زهاء أربعين سنة . الواحد منا مصري والآخر ليبي . ثم سألاني : وكيف حال العالم ؟ وهل ينزل المطر بكثرة وغزارة في أوانه ، وهل العالم في يسر ؟ فقلت لهما : نعم . ثم سألتهما : اخبراني ، كيف يمكنني أن أصبح راهباً ؟ قالا لي : إذا لم يترك الإنسان كل ما للعالم لا يمكنه أن يصبح راهباً . فقلت لهما : أنا مريض ولا أقدر أن أماثلكما في السيرة . فقالا لي : إذا كنت لا تقدر أن تفعل ما نفعله ، لازم قلايتك وابك خطاياك . ثم اني سألتهما : عندما يحل الشتاء ، ألا تبردان ؟ كذلك عندما يهبط الحر ، ألا يحترق جسداكما ؟ فقالا : لقد صنع الله معنا هذا التدبير وهو أننا في الشتاء لا نبرد ، وفي الصيف لا يحرقنا الحر . لأجل هذا قلت لكما إني لم أصبح راهباً ، لكني

رأيت رهباناً . سامحوني يا إخوتي .

٣ ـ عندما كان الأب مكاريوس في البرية كان الوحيد فيها . ولكن ، في موضع آخر ، كان ثمة إخوة آخرون . فراقب الأب الطريق ، فرأى الشيطان في هيئة إنسان يسير معه جنباً إلى جنب وهو صاعد . وكان يرتدي ثياباً رقيقة علّق عليها أوعية كثيرة . فقال له الأب مكاريوس : إلى أين أنت ذاهب ؟ قال : أنا ماض الى الاخوة . فقال له الأب مكاريوس : ولماذا تحتاج إلى كل هذه الأوعية ؟ أجابه الشيطان : بها أعدّ للاخوة الطعام . قال الأب مكاريوس : وهل تحتاج إلى كل هذه الأوعية ؟ أجاب : نعم . إذا لم يرض الأخ بالوعاء الأول ، دفعت له بالثاني ، وإذا رفض الثاني قدّمت له الثالث . ولا ريب أن واحداً منها سيروق له . ولما قال هذا مضى . فتابع الأب النظر إلى الطريق حتى عاد . فلما رآه ، قال له : أرجو أن تخلص . فأجابه : وكيف أقدر أن أخلص ؟ قال الشيخ : ولماذا تقول هذا ؟ أجابه الشيطان : الجميع نبذوني ولم يعد أحد يرضى بي . قال له الشيخ : أليس لك صديق هناك ؟ أجابه : عندي واحد فقط يطيعني للغاية حتى إنه ما أن يراني حتى ينطلق كالريح ويأتي إليّ . قال له الشيخ : وما اسمه ؟ أجابه الشيطان : اسمه ثيوبمبتس . ولما قال هذا ، رحل ، فنهض الأب مكاريوس ومضى إلى البرية الجنوبية . فلما علم الاخوة بقدومه ، خرجوا لاستقباله بالسعف والأغصان . وكان كل واحد منهم يظن أن الأب سينزل ضيفاً عليه . أمّا هو فكان يطلب ثيوبمبتس . ولما وجده نزل عنده ، فاستقبله الأخ بفرح . ولما تآلف الشيخ معه ، قال له : كيف حالك يا أخي ؟ قال الأخ : بصلواتك يا أبت يكون كل شيء حسناً . قال له الأب : وهل تحاربك الأفكار ؟ قال : في الوقت الحاضر أنا بألف خير . وكان يخاف أن يتكلم . فقال له الشيخ : لي سنون كثيرة وأنا ناسك ، والجميع يحترمونني ، إلاّ أن روح الزنى ما يزال يحاربني إلى الآن . فقال ثيوبمبتس : في الواقع يا أبت أنني مثلك في هذه الحرب . وتظاهر الأب

أن أفكاراً أخرى تقلقه ، وذلك كي يجعل الأخ يبوح بما عنده ويكشف عمّا في قلبه . ثم قال له : وكيف تصوم ؟ قال الأخ : حتى التاسعة (أي الثالثة بعد الظهر بتوقيت العالم) . قال له الشيخ : ليكن صومك حتى المساء . وروّض نفسك على الجهادات الروحية ، واحفظ الإنجيل والأسفار المقدسة عن ظهر قلب . وإذا ما اتاك فكر شرير ، لا تنتظر إلى أسفل ، إنما وجّه أبصارك إلى العلاء والرب يعينك ويقويك . ولما رسم عليه علامة الصليب ، خرج يطلب بريته الخاصة . وفي الطريق صادف الشيطان فقال له : إلى أين تذهب ؟ قال : إلى الاخوة كي أتفقدهم . ثم مضى ولما عاد سأله الأب قائلاً : وكيف حال الاخوة ؟ أجابه الشيطان : سيئة للغاية . قال له الشيخ : ولماذا هي هكذا ؟ أجابه الشيطان : كلهم وحوش ، والشر الأعظم أن ذاك الذي كان يطيعني ، لا أعرف لماذا أشاح وجهه عني ، فلم يعد يطيعني ، بل صار أشد شراسة من الجميع . وقد أقسمت ألاّ أمضي إلى هناك إلاّ بعد زمن طويل . ولما قال هذا ، مضى . فدخل القديس الى قلايته .

٤ ـ زار الأب مكاريوس الكبير الأب أنطونيوس في الجبل . فلما قرع الباب ، خرج الأب أنطونيوس وسأله : من أنت ؟ قال : أنا مكاريوس . فعاد الأب أنطونيوس أدراجه وأغلق الباب تاركاً مكاريوس ينتظر خارجاً . وبعد أن رأى صبره ، فتح له ومازحه قائلاً : منذ زمان بعيد أنا مشتاق أن أراك لسماع أخبارك . ثم أراحه بحسن استقباله وضيافته إذ كان تعباً جداً . ولما هبط المساء ، بلّل أنطونيوس الخوص لنفسه ، فقال له الأب مكاريوس : اسمح لي أن أبلّل قليلاً منه لنفسي أيضاً ، فأذن له . فجعل ربطة كبيرة وشرع يعمل . وكان كلاهما يتحدثان عن خلاص النفس وكان خيط الخوص يتدلى من النافذة الى المغارة . وعند الصباح دخل الأب أنطونيوس ، فرأى ما قد انتجه مكاريوس ، فقال له : إن قوة عظيمة تخرج من هاتين اليدين .

٥ ـ تحدث الأب مكاريوس للاخوة عن خراب الاسقيط ، فقال : عندما تشاهدون

قلاية تشاد بجوار الواحة ، اعلموا أن موتهـا قريب . وإذا رأيتـم شجـراً ، افهمـوا أن الدمـار على الأبـواب . وعندمـا ترون أولاداً ، احملـوا متاعـكم وارحلوا .

٦ ـ قال أيضاً مريداً أن يعزّي قلوب الاخوة : جاء إلى هنا صبي به شيطان تصحبه أمه ، وكان يقول لها : قومي أيتها العجوز لنرحل من هنا . أمّا هي فكانت تقول : لا أستطيع أن أمشي يا ولدي . قال لها الصبي : أنا أحملك . فتعجب من خبث الشيطان كيف انه يريد إبعادهـا .

٧ ـ قال الأب سيسوى : عندما كنت في الاسقيط مع الأب مكاريوس ، خرجنـا سبعة رجال كي نجمع القمح معه . وكانت وراءنا أرملة تجمع العيدان وهي تبكي بدون توقف . فنادى الأب صاحب الحقل وقال له : لماذا تبـكي هذه العجوز ؟ قال له : انها تبكي لأن زوجها كان معه وديعة من إنسان ، لكنـه مات على حين غرة دون أن يقول أين وضعها . أمّا صاحب الوديعة فينوي أن يأخذ المرأة وأولادها عبيداً له . قال الأب : قل لها أن تأتي إلينا حيث سنستريح من الحرّ . فلما جاءت المرأة ، قال لهـا الأب : لماذا تبكين هكذا يا امـرأة ؟ قالت : مات زوجي دون أن يطلعني على مكان الوديعة . فقال لها الأب : هلمّي أريني أين يدفن زوجك . فأخذ الأب الاخوة معه وخرجوا بصحبة المرأة متوجهين نحو القبر . ولما بلغوا المكان ، قال لها الشيخ : عودي إلى بيتك . ثم صلّى ونادى الميت قائلاً : أيها الميت ، أين تركت الوديعة ؟ أجابه الميت وقال : إنها في بيتي تحـت ساق السرير . قال له الأب : أرقـد من جديد حتـى يوم القيامة . فلما رأى الاخوة ما حصل ، سقطوا عند قدميه من شدة الخوف ، فقال لهم : ما كان هذا من أجلي ، لأني لست بشيء ، إنما من أجل الأرملة وأولادها اليتامى . هذا هو المهم إن الله يريد النفس بدون خطيئـة ، ومهما تطلب منه تَنَلْهُ . ولما عاد الى البيت ، أعلم المرأة بمكان الوديعة ، فحملتهـا وسلّمتها الى صاحبها ، فأطلق لها أولادها . والذين سمعوا هذا ، مجدوا الله .

٨ ـ قال الأب بطرس عن الأب مكاريوس إنه ، لما وصل إلى أحد النساك ورآه يتألم ، سأله ماذا يريد أن يأكل ، إذ لم يوجد في قلايته ما يؤكل . فقال له الناسك : أريد « بستيلو»[1] . فلم يتردد ذلك الشجاع في الذهاب الى الاسكندرية تلبية لرغبة الناسك المريض . والعجيب أن أحداً لم يعرف به .

٩ ـ قال الأب بطرس عن الأب مكاريوس إنه كان يتصرف ببراءة مع الاخوة . فقال له البعض : ولماذا تفعل بنفسك هكذا ؟ قال : لقد أمضيت اثنتي عشرة سنة في خدمة ربي كي يمنحني هذه الموهبة . وها أنتم الآن تنصحونني بالتخلي عنها .

١٠ ـ قالوا عن الأب مكاريوس إنه ، كلما كان مع الاخوة ، كان يضع لنفسه الشرط التالي : إذا كان ثمة خمر ، أشرب منه حباً بالاخوة . لكن إزاء كل كأس خمر ، أمتنع عن الماء يوماً كاملاً . أمّا الاخوة ، فمن أجل إراحته ، كانوا يقدمون له خمراً . وكان هو يتناوله بفرح لكي يعذّب نفسه . فلما علم تلميذه بالأمر ، قال للاخوة : من أجل الرب لا تقدموا له خمراً ، لأنه سيعذب نفسه حال عودته الى قلايته . فلما سمعوا بهذا ، كفّوا عن تقديمه له .

١١ ـ فيما كان الأب مكاريوس ذاهباً من الواحة إلى قلايته يحمل عيدان الخوص ، صادف الشيطان يحمل منجلاً . ولما أراد أن يضرب به مكاريوس ، مُنع عن ذلك . فقال له : أرى فيك قوة عظيمة يا مكاريوس ولا أستطيع النيل منك البتة . ما تفعله أنت ، إياه افعل أنا . أنت تصوم وأنا أصوم أيضاً . أنت تسهر وأنا أسهر أيضاً ولا تعرف عيناي النوم . واحدة فقط بها تغلبني وتقهرني . قال الأب مكاريوس : وما هي ؟ أجابه الشيطان : انه التواضع الذي به تسلّح نفسك فلا أعود قادراً عليك .

١٢ ـ سأل بعض الآباء مكاريوس قائلين : كيف أنك إذا أكلت ولم تأكل ، يظل

---

(١) البستيلو هي قطعة حلوى مصنوعة من العسل والسمسم .

جسمك قوياً ؟ أجابهم : إن الخشب الذي يتوسط المواد المشتعلة ، تلتهمه النار بسرعة . هكذا هو الحال مع الانسان ، فإنه إذا نقّى ذهنه بمخافة الله ، فإن المخافة هذه ، تلتهم جسده .

١٣ ـ صعد الأب مكاريوس من الاسقيط الى ترينوثي ودخل المعبد لينام . وكان هناك رفات قديمة لبعض الوثنيين . فمدّ يده وأخذ واحدة جعلها تحت رأسه بمثابة وسادة واتكأ عليها . فلما أبصر الشياطين شجاعته ، حسدوه ، وأرادوا ان يخيفوه ، فأطلقوا اسماً نسائياً قائلين : يا فلانة ، تعالي معنا الى الحمّام . ثم نهض شيطان آخر وتكلم من تحته كأنه واحد من الأموات ، قائلاً : هناك إنسان أجنبي فوقي ولا استطيع أن أنهض . أمّا مكاريوس ، فلم يجزع ، بل كان يضرب الرفات بشجاعة ويقول : انهض واذهب الى الظلمة اذا كنت تقدر . فلما سمع الشياطين هذا الكلام ، صرخوا بأعلى صوتهم وقالوا : لقد غلبتنا وخرجوا مخجولين .

١٤ ـ قالوا عن الأب مكاريوس المصري إنه ، بينما كان صاعداً من الاسقيط يحمل السلال ، تعب فجلس قليلاً ليرتاح . وصلّى قائلاً : يا إلهي أنت تعرف أنني لا أستطيع متابعة السير . للحال وجد نفسه على ضفاف النهر .

١٥ ـ كان لإنسان ولد مقعد في مصر ، فأحضره إلى قلاية الأب مكاريوس وتركه عند الباب يبكي ومضى هو ووقف من بعيد . فلما لمح الشيخ الصبي ، قال له : من أتى بك الى ههنا يا بني ؟ أجابه الصبي : لقد تركني أبي ومضى . قال له الأب : انهض والحق به . للحال شفي من دائه ونهض وطفق يجري نحو أبيه . وهكذا عاد الاثنان الى بيتهما فرحين .

١٦ ـ كان الأب مكاريوس الكبير يقول للاخوة في الاسقيط عندما كانوا يخرجون من الكنيسة : اذهبوا يا إخوتي . فسأله أحد الشيوخ قائلاً : واين نذهب خارج هذه البرية يا أبانا ؟ فجعل أصبعه في فمه وقال : اطرحوا هذا . ودخل

بعد ذلك الى قلايته واغلق الباب وجلس .

١٧ ـ قال الأب مكاريوس : إذا عاقبت إنساناً وأنت تغضب ، فأنت تُرضي هواك . ولكي تخلّص الآخرين ينبغي ألاّ تُرضي نفسك .

١٨ ـ هو نفسه لما كان في مصر ، وجد إنساناً يملك حيواناً كان يسرق منتجاته . وكان يرى السرقة كغريب . فكان يحمّل الحيوان برفق ويقوده بهدوء عظيم قائلاً : « ما جئنا العالم ومعنا شيء ولا نقدر أن نخرج منه ومعنا شيء (١ تيمو ٦ : ٧) . الرب أعطى كما أراد . وهكذا كان يبارك الرب في كل شيء» (أيوب ١ : ٢١) .

١٩ ـ سألوا الأب مكاريوس قائلين : كيف ينبغي أن نصلّي ؟ أجابهم : لا حاجة لنا إلى كثرة الكلام ، بل إلى أن نمد أيدينا إلى العلاء ونقول : يا رب ارحمنا كما تريد وكما تعلم . وإذا حلّت بنا حرب ، نقول : اعنّا . فهو يعرف ما نحتاج إليه ويعاملنا برحمة .

٢٠ ـ قال الأب مكاريوس : لن تموت إذا صار عندك الهزء كالمديح والفقر كالغنى والحرمان كالقنية ، لأنه يستحيل على من يؤمن جيداً ويسلك بتقوى أن يسقط في نتانة الأهواء وخديعة الشياطين .

٢١ ـ قالوا إن أخوين قد خطئا في الاسقيط ، ففصلهما الأب مكاريوس المدنيّ . فجاء البعض واخبروا الأب مكاريوس الكبير بذلك ، فقال لهم : ليس الاخوان هما المفصولين ، لكن مكاريوس هو المفصول . قال هذا لأنه كان يحبه . ثم سمع أنه قد انفصل عن أبيه وذهب إلى الواحة . فخرج الأب مكاريوس الكبير ، فوجده مجرّحاً من لسع البعوض ، فقال له : أنت فصلت الاخوة ، أمّا أنا فكان ينبغي في ذلك الحين أن أرحل إلى القرية . إلاّ انني فصلتك ، وأنت كبتول صالح ، جئت إلى هنا إلى المضجع الداخلي . أمّا أنا فدعوت الاخوة وعرفت منهم هذا وقلت لهم : إن هذا الأمر لم يحدث . فانظر

أنت أيضاً يا أخي ، ربما خدعتك الشياطين ، وتبْ عن خطيئتك . فقال : إذا أردتَ امنحني التوبة . فلما رأى الشيخ تواضعه ، قال له : اذهب وصمْ ثلاثة أسابيع متناولاً الطعام مرة كل أسبوع . وهكذا كان عمله دائماً أن يصوم أسابيع عديدة .

٢٢ ـ قال الأب موسى للأب مكاريوس في الاسقيط : أريد أن أعيش بهدوء لكن الاخوة لا يتركونني. قال له الأب مكاريوس: أرى أن طبيعتك ناعمة ولا تستطيع أن تبعد أخاً عنك. ولكن إذا أردت أن تعيش في الهدوء، اذهب الى البرية الداخلية، إلى البترا، وهناك تجد هدوءك المطلوب. ففعل ما قاله، فارتاح.

٢٣ ـ زار أحد الاخوة الأب مكاريوس المصري وقال له : يا أبت ، قل لي كلمة ، كيف أخلص ؟ أجابه الأب : أمضِ الى القبور واشتم الموتى . فمضى وشتمهم ورجمهم بالحجارة ، ثم عاد وأخبر الأب عما فعل . فقال له : ألم يقولوا لك شيئاً ؟ قال الأخ : كلا يا أبت . قال له الشيخ : اذهب في الغد وامتدحهم . ولما صار الغد ، مضى إلى القبور ، وامتدح الموتى قائلاً : أيها الرسل والقديسون الأبرار . . . وعاد إلى الأب وأخبره عمّا فعل . فقال له الأب : ألم يقولوا لك شيئاً أيضاً ؟ أجابه الأخ : كلا . فقال الأب : أتفهم الآن كيف أنك سخرت منهم فلم يجيبوك ، وامتدحتهم ، فلم يكترثوا لك . هكذا أنت ، إذا أردت أن تخلص ، عليك أن تكون كالأموات فلا تكترث لمديح الناس أو ذمهم ، تماماً كما فعل الأموات . وأنت ، ان فعلت هذا ، تخلص .

٢٤ ـ لما كان الأب مكاريوس يطوف مصر ، سمع صبياً يقول لأمه : يا أمي ، ثمة غني يحبني ، لكني أمقته ، وفقير يمقتني ، إلاّ أني أحبه . فلما سمع الأب هذا الكلام ، تعجب جداً . فقال له الاخوة : وما معنى هذا الذي أدهشك يا أبانا ؟ قال لهم : في الحقيقة يا إخوتي ، ربنا هو الغني ويحبنا ولكننا لا نريد أن

نسمع له . أمّا عدوُّنا ، فهو فقير ويكرهنا ، إلاّ أننا نحبه ونحب نتانته .

٢٥ ـ تضرع إليه الأب بيمن بدموع قائلاً : قل لي كلمة ، كيف أخلص ؟ أجابه الأب مكاريوس قائلاً : إن ما تطلبه الآن قد أضحى بعيداً عن الرهبان .

٢٦ ـ زار الأب مكاريوس أنطونيوس ، ولما كلّمه ، عاد إلى الاسقيط . فجاء الآباء لزيارته . ولما كانوا يكلّمونه ، قال لهم : لقد ذكرت للأب أنطونيوس أنه ليس عندنا قربان في منطقتنا . فبدأ الآباء يتكلمون على أمور أخرى ولم يطلبوا أن يعرفوا جواب الأب ، والأب نفسه لم يذكره لهم . فقال أحد الآباء ، إذا رأى الآباء أن الاخوة ينسون أن يسألوا عن أمر ينفعهم ، يضطرون إلى الكلام من جديد . وإذا لم يضطروا ، لا يتابعون الحديث ، كي لا يبدو أنهم يتكلمون بدون أن يُسألوا ، فيكون كلامهم بمثابة ثرثرة .

٢٧ ـ سأل الأب أشعيا الأب مكاريوس قائلاً : قلْ لي كلمة . أجابه الأب : أهرب من الناس . قال الأب أشعيا : وما معنى الهرب من الناس ؟ قال الأب مكاريوس : معناه أن تجلس في قلايتك وتبكي خطاياك .

٢٨ ـ قال الأب بفنوتيوس تلميذ الأب مكاريوس : لقد توسلت إلى أبي قائلا : قل لي كلمة . فأجابني : لا تَدِنْ أحداً ولا تُسِءْ إلى أحد . احفظ هذه ، تخلص .

٢٩ ـ قال الأب مكاريوس : لا تنم في قلاية راهب له سمعة سيئة .

٣٠ ـ زار بعض الاخوة الأب مكاريوس في الاسقيط ، فلم يجدوا في قلايته سوى ماء آسن ، فقالوا له : تعال معنا إلى القلاية فنريحك . أجابهم الأب : اتعرفون يا إخوتي الفرن الفلاني في القرية ؟ قالوا : نعم . قال لهم : وأنا أيضاً أعرفه . أتعرفون الحقل الفلاني الذي يمرّ به النهر ؟ قالوا : نعم . قال لهم : وأنا أيضاً أعرفه . إذن عندما أريد ، لا أحتاج إليكم للذهاب الى هناك .

٣١ ـ قالوا عن الأب مكاريوس إنه ، إذا جاءه أخ بخوف معتبراً إياه قديساً وشيخاً عظياً، لم يكن يقول له شيئاً. ولكن عندما كان أحد الاخوة يقول له لكي يذلّه : « يا أبت لما كنت جمّالاً وكنت تسرق الملح وتبيعه ، ألم يضربك الحراس ؟ » ، كان يجيبه عن سؤاله .

٣٢ ـ قالوا عن الأب مكاريوس الكبير إنه أصبح كما هو مكتوب إلهاً أرضياً . فكما أن الله يحتضن العالم ، هكذا كان مكاريوس يحتضن العيوب التي يراها كما لو لم ير شيئاً ، والتي يسمعها كما لو لم يسمع شيئاً البتة .

٣٣ ـ حدّثنا الأب فيتيميوس أن الأب مكاريوس قال : لما كنت أقيم في الاسقيط نزل هناك شابان غريبان . وكان الواحد ذا لحية ، أمّا الثاني فلم يكن قد أطلقها بعد . ولما وصل الشابان قالا : أين هي قلاية الأب مكاريوس ؟ فقلت لهما : وماذا تريدان منه ؟ قالا : لقد سمعنا عنه الكثير فجئنا لرؤيته . قال لهما : أنا هو . فسجدا له قائلين : نحن نريد أن نقيم ههنا . أمّا أنا فلما رأيتهما في بحبوحة وغنى ، قلت لهما : أنتما لا تقدران على السكنى ههنا . فقال الأكبر : إذا لم نتمكن من الاقامة هنا ، سنرحل الى موضع آخر . فقلت لفكري : لماذا تطردهما يا مكاريوس ؟ ألا تعثرهما ؟ التعب نفسه سيحملهما على الهرب . ثم قلت لهما : هيّا ، أعدّا لنفسيكما قلاية إذا كنتما تقدران . فقالا : أرنا المكان لنصنع فيه قلاية . فأعطاهما بلطة وزنبيلا مملوءاً خبزاً وملحاً وأراهما صخرة قاسية وقال لهما : إحفرا ههنا وأتيا بالخشب من الواحة . وعندما تسقفان البناء أقيما فيه . وقال إنه من التعب كنت أظن أنهما سيرحلان . ثم سألاني : وبماذا تشتغلان هنا ؟ قلت : نحن نحيك الخوص . ثم تناولت أغصان نخيل من الواحة ، وأريتهما بدء العمل وكيف تكون الحياكة ، وقلت : اصنعا السلال وأعطياها للحراس وهؤلاء يأتيانكما بالخبز . وبعد ذلك رحلت . فقام هذان ينفذان بصبر كل ما قلته لهما . وانقطعا عن زيارتي ثلاث سنوات . أمّا أنا فكنت أقاتل أفكاري قائلاً :

ترى أي عمل يمارسان حتى أنهما لم يأتيا ليسألاني عن أي من الأفكار ؟ البعيدون يعودونني ، أمّا هذان القريبان فلا يأتيان البتة ، وإلى الكنيسة لا يذهبان . فتضرعت إلى الله وأنا أصوم الأسبوع كله أن يكشف لي عملهما . وبعد أسبوع نهضت وانطلقت اليهما لأرى كيف يمكثان . ولما قرعت الباب ، فتحا لي وعانقاني بصمت . وبعد الصلاة جلست . فأومأ الأكبر إلى رفيقه أن يخرج ، أمّا هو فجلس يحيك الخوص دون أن يتكلم . وعند الساعة التاسعة (الثالثة بعد الظهر حسب توقيت العالم) ، قرع الباب فدخل الأصغر وأعدّ طعاماً ووضع الطاولة بعد ايماءة من الأكبر ، ثم جعل عليها ثلاث خبزات ، ثم لبث بدوره صامتاً . أمّا أنا فقلت : قوما لنأكل ، ثم دفع الينا شراب ، فشربنا ، ولما هبط المساء ، قالا لي : هل سترحل : قلت لهما : كلا ، إنما سأنام هنا . ففرشا لي في إحدى الزوايا بساطاً أنام عليه . وفي زاوية أخرى افترشا لنفسيهما أيضاً وحلاّ الأحزمة وتمددا على الأرض أمامي . فتضرعت إلى الله أن يكشف لي عملهما . فانفتح السقف وصار البيت كالنهار ، أمّا هذان فلم يلمحا النور . ولما كانا يظنان أنني نائم ، قام الأكبر ولمس الأصغر بأحد أنامله ، ونهضا ورفعا أيديهما الى السماء . وأنا كنت أرى كل هذا دون أن يشاهداني . ثم رأيت الشياطين تنقض على الأصغر انقضاض الذباب ، وأخرى تقف على فمه ، وأخرى على عينيه . ثم رأيت ملاك الرب حاملاً سيفاً من نار يقاتل به الشياطين ويطردهم عنه . أمّا الأكبر فلم تكن الشياطين تتجاسر أن تدنو منه . ولما رقدا عند الصباح ، تظاهرت أنا بالنهوض من النوم ، ففعلا هما كذلك . ثم قال لي الأكبر هذه الكلمة وحسب : أتريد أن نتلو الاثني عشر مزموراً ؟ قلت : نعم . ثم أنشد الأصغر المزامير الخمسة الأولى مع استيخوناتها الستة والهليلويا . وعند كل استيخون ، كان يصعد من فمه مصباح ملتهب ويرتفع الى السماء . كذلك كان مصباح ملتهب يرتفع من فم الأكبر عندما ينشد ويصلّي حتى السماء . أمّا أنا فتلوت البعض عن ظهر قلب . ولما خرجت قلت لهما : صلّيا من أجلي أمّا هما فسجدا لي صامتَيْن .

فعرفت أنّ الأكبر كامل بينما الأصغر ما زال يحارب الشياطين بقوة . وبعد أيام قليلة رقد الأكبر ، وفي غضون أيام قليلة أخرى ، لحق به الأصغر . ولما زار بعض الآباء الأب مكاريوس ، أخذهم الى قلاية المذكورين ، وقال لهم : تعالوا وانظروا شهادة هذين الغريبين الصغيرين .

٣٤ ـ أرسل بعض شيوخ الجبل رسالة إلى الأب مكاريوس في الاسقيط متضرعين إليه وقائلين : لئلا يتعب الشعب كله في المجيء اليك ، تعال أنت إلينا ، وذلك لنراك قبل أن ترحل إلى الرب . ولما جاء إلى الجبل ، التف حوله الشعب (جماهير الرهبان) ، ورجا منه الآباء أن يقول للاخوة كلمة . ولما سمع هذا ، قال : لنبك يا اخوتي ، ولتنهمر الدموع من مآقينا قبل أن نذهب إلى هناك حيث ستلهب الدموع أجسادنا . فبكى الجميع وانطرحوا إلى الأرض وقالوا : صلِّ من أجلنا يا أبانا .

٣٥ ـ ذات يوم هجم أحد الشياطين على الأب مكاريوس يريد أن يقطع رجله بآلة حادة . ولما لم يقدر بسبب تواضعه ، قال له : كل ما عندكم عندنا ، إلاّ أنكم بتواضعكم تتفوقون علينا وتغلبوننا .

٣٦ ـ قال الأب مكاريوس : إذا تذكرنا الشرور الآتية علينا من الناس ، فإننا نقطع بذلك قوة ذكر الله . ولكن ، إذا تذكرنا شرور الشياطين ، نصير بلا جراح .

٣٧ ـ حدّثنا الأب بفنوتوس تلميذ الأب مكاريوس أن شيخه قال : لما كنت طفلاً كنت أرعى القطيع مع سائر الأولاد الصغار. فذهبوا ليسرقوا تيناً. ولما كانوا يركضون، سقطت واحدة، فأخذتها وأكلتها. وعندما أتذكر ما فعلت، أجلس وأبكي.

٣٨ ـ قال الأب مكاريوس : كنت أسير في البرية ، فوجدت ، ذات يوم ، جمجمة إنسان ميت مرمية على الأرض ، فحركتها بعصا النخيل لتكلمني . قلت لها : ومن أنت أيها الانسان ؟ أجابتني الجمجمة : كنت رئيس كهنة عند الوثنيين

الذين بقوا في هذا المكان . أمّا أنت فتدعى مكاريوس حامل الروح القدس الذي في كل وقت وفي كل ساعة تشفق على الموجودين في الجحيم وتصلّي من أجلهم ، فيتعزون قليلاً . قال الشيخ : وما هما التعزية والعقوبة ؟ أجابت الجمجمة : كما تبعد السماء عن الأرض ، هكذا هي النار تحتنا . فالنار تلفحنا من أخمص القدمين حتى الرأس ، ولا أحد منا يقدر أن يرى وجه الآخر ، لأن وجه كل واحد ملتصق بظهر الآخر . وعندما تصلّي من أجلنا ، يتمكن الواحد منا أن يرى رفيقه بعض الشيء . هذه هي التعزية . فبكى الأب وقال : واحسرتاه على اليوم الذي فيه يولد الانسان إذا كانت هذه هي تعزية العقوبة . ثم قال : وهل هناك عذاب أسوأ ؟ أجابت الجمجمة : العذاب الأشد هو من تحتنا . فقال الشيخ : ومن هم الذين هناك ؟ قالت : نحن قد رُحِمْنَا قليلاً لأننا لا نعرف الله . أمّا أولئك الذين عرفوه وأنكروه فهم الذين تحتنا . فأخذ للحال الجمجمة وطمرها .

٣٩ ـ قالوا عن الأب مكاريوس المصري إنه ، بينما كان صاعداً ذات مرة من الاسقيط الى جبل النطرون ، قال لتلميذه لما اقترب من المكان : اسبقني قليلاً . ولما تقدم الأخ صادف كاهناً (هيلينياً) وثنياً ، فناداه قائلاً : أيها الشيطان ، أين تركض ؟ فاستدار ذاك وجرّحه وتركه بين حي وميت وحمل عصاه وهرب . ولما تقدم قليلاً صادفه الأب مكاريوس يركض ، فقال له : أرجو أن تخلص ، أرجو أن تخلص يا محب الألم . فتعجب ذاك وجاء إليه يسأله : أيَّ خير رأيت فيّ حتى تدعوني ؟ قال له الشيخ : لقد رأيتك تتعب ، ولكن لم أكن أعرف أنك تتعب عبثاً . فقال له ذاك : أمّا أنا فمن تحيّتك التي ألقيتها عليّ أنذهلت ، وأدركت أنك من الله . لكن ثمة راهب شرير صادفني قبل برهة ، وشتمني ، فما كان مني إلاّ أن جرحته حتى الموت . ففهم الشيخ أنه كان يقصد التلميذ . ثم قال الكاهن الوثني وهو ممسك بقدمي الأب : لن أتركك قبل أن تجعلني راهباً . فجاءا إلى حيث كان الراهب وحملاه إلى الكنيسة

التي في الجبل . فلما رأوا الكاهن معه ، تعجّبوا وجعلوه راهباً ، وبسببه صار العديد من الهيلينيين مسيحيين . فقال الأب مكاريوس : الكلمة الشريرة تجعل الصالحين أشراراً . أمّا الكلمة الطيبة فمن شأنها أن تجعل الأشرار صالحين .

٤٠ ـ قالوا عن الأب مكاريوس إنه ، لما كان غائباً عن القلاية ، دخلها لص . فلما عاد مكاريوس إليها ، وجد اللص يخرج السلال ويجعلها على ظهر الجمل . فدخل مكاريوس الى القلاية وأخذ ينقل السلال معه . ولما انتهيا ، بدأ اللص يضرب الجمل لكي ينهض ، ولكن عبثاً . فلما رأى مكاريوس أنه لا ينهض ، دخل إلى قلايته فوجد معولاً صغيراً فأخرجه ووضعه فوق الجمل قائلاً : يا أخي هذا ما يطلبه الجمل . ثم ضرب الشيخ الجمل قائلاً : انهض . وللحال نهض بسبب كلامه ومشى قليلاً ، ثم عاد وجثم من جديد ، حتى أفرغوا كل ما عليه ، وبعد ذلك انطلق .

٤١ ـ سأل الأب أيو الأب مكاريوس قائلاً : قلْ لي كلمة . أجابه الأب مكاريوس : أهرب من الناس . إجلس في قلايتك وابك خطاياك . لا تحبَّ ثرثرة الناس تخلص .

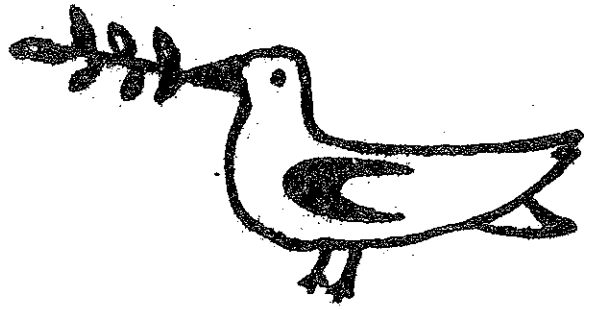

الأب موسى

١ ـ حورب الأب موسى بالزنى بقوة ، ولما لم يعد يطيق الجلوس في القلاية ، خرج وأعلن هذا للأب اسيذوروس . فرجاه الأب أن يعود إلى قلايته . فلم يقبل قائلاً : لا أحتمل ذلك يا أبت . فأخذه وأصعده إلى السطح وقال له : أنظر الى المغارب . فتطلع ، فرأى حشداً من الشياطين لا عدد له مضطرباً جداً يحدث شغباً استعداداً للحرب . ثم قال له الأب ايسيذوروس ثانية : أنظر إلى المشارق . فتطلع فرأى حشداً من الملائكة القديسين الممجدين . فقال الأب ايسيذوروس : أنظر ، هؤلاء هم الذين يرسلهم الله لمساعدة القديسين . أمّا الذين في الغرب فهم الذين يحاربونهم . فالذين معنا هم أكثر عدداً . وهكذا شكر الأب موسى الله وتشجّع وقفل عائداً إلى قلايته .

٢ ـ سقط أخ في الاسقيط في خطيئة ، فانعقد مجمع لهذا الغرض . وأرسلوا يدعون الأب موسى . أمّا هو فلم يرد أن يأتي . فأرسل إليه الكاهن رسالة قائلاً : هلمَّ يا موسى ، الشعب ينتظرك . فنهض وأتى يحمل كيساً مثقوباً فيه رمل . فلما رآه الاخوة الذين خرجوا للقائه ، قالوا له : ما هذا يا أبانا ؟ قال لهم الشيخ : إنها خطاياي التي تتساقط ورائي ولا أراها . وها قد أتيت الآن لأنظر في خطايا الآخرين . فلما سمعوا هذا ، لم يقولوا للأخ شيئاً ، وسامحوه .

٣ ـ انعقد ، ذات يوم ، مجمع في الاسقيط ، وأراد بعض الآباء أن يجرّبوا الأب موسى ، فازدروا به قائلين : من سيأتي الينا ؟ أهو ذاكَ الحبشي ؟ أمّا هو ، فعندما سمع صمت . وبعد انتهاء المجمع ، قالوا له : ألم تضطرب يا أبانا ؟ أجابهم : « لقد أضطربت لكني لم أتكلم» (مزمور ٨٦ : ٥) .

٤ ـ وقالوا عن الأب موسى لما صار اكليريكياً ، إن رئيسَ الأساقفة قال له بعد أن جعلوا عليه الثوب الاكليريكي : ها قد أصبحت أبيض بالكلية يا موسى ؟ قال الشيخ : ترى هل أنا أبيض من الخارج فقط أم من الداخل أيضاً يا أبت ؟ فأراد رئيس الأساقفة أن يجرّبه ، فقال للاكليريكيين : عندما يدخل الأب موسى الى الهَيكل أطردوه واتبعوه لتسمعوا ماذا سيقول . فلما قدم الأب موسى ، انتهروه وطردوه قائلين : أخرج أيها الحبشي . أمّا هو فخرج وكان يقول في نفسه : حسناً فعلوا بك أيها الأسود القذر . فإذا لم تكن بشراً ، فلماذا تأتي مع الناس ؟ (الحادثة ذاتها وردت عند القديس الأب دوروثيوس ١٤ ، ٤) .

٥ ـ ذات مرة صدرت في الاسقيط وصية تقول : « صوموا في ذلك الأسبوع » . وحدث أثناء ذلك أن زار بعض الاخوة الأب موسى قادمين من مصر ، فأعدّ لهم طعاماً . فلما رأى الجيران الدخان المتصاعد ، قالوا للاكليريكيين : انظروا ها قد أوقف موسى صيامه وأعدّ لنفسه طعاماً . أمّا هم فقالوا : عندما يأتي إلينا سنكلّمه . ولما جاء السبت ورأى الاكليريكيون عمله الصالح ، قالوا له أمام الشعب : يا أبانا موسى ، لقد حللت وصية الناس وحفظت وصية الله (أي ضيافة الغرباء) .

٦ ـ زاره أحد الاخوة في الاسقيط وطلب منه كلمة : فقال له الشيخ : إذهب واجلس في قلايتك وهي تعلّمك كل شيء .

٧ ـ قال الأب موسى : إن من يهرب من الناس يشبه كرمة حان قطافها . أمّا الذي يقيم بين الناس فيشبه الحصرم .

٨ ـ سمع الحاكم بالأب موسى فجاء إلى الاسقيط يريد أن يراه . فأعلم بعض الاخوة الشيخ بالأمر . فنهض وقام وهمّ بالهرب إلى الواحة . فلما قابله أولئك ، سألوه : قل لنا يا أبانا ، أين هي قلاية الأب موسى ؟ أجابهم : وماذا

تريدون منه ؟ إنه إنسان مجنون . ولما جاء الحاكم إلى الكنيسة قال للاكليريكيين : لما سمعت عن الأب موسى قصدت الاسقيط لأراه . ولكن صادفت شيخاً ذاهباً إلى مصر ، فسألته أين قلاية الأب موسى ، فقال لنا : وماذا تريدون منه ، إنه إنسان مجنون ؟ فلما سمع الاكليريكيون هذا الكلام ، حزنوا قائلين : وما شكل الشيخ الذي تكلم ضد القديس موسى ؟ قال : كان شيخاً يرتدي ثياباً بالية ، طويل القامة وأسود اللون . فقالوا له : هذا هو الأب موسى نفسه . وقد قال لكم هذا لكي لا يقابلكم . فلما سمع الحاكم هذا الكلام غادر منتفعاً .

٩ ـ قال الأب موسى في الاسقيط : إذا حفظنا وصايا آبائنا فإني أضمن لكم أن البرابرة لا يأتون إلى هنا . ولكن إذا لم نحفظها ، فإن المنطقة هذه ستقفر .

١٠ ـ وبينما كان الاخوة جالسين معه ، قال لهم : اليوم يأتي البربر الى الاسقيط . قوموا واهربوا . فقالوا له : وأنت ألا تهرب يا أبانا ؟ قال لهم : إن لي سنين طوالاً وأنا أنتظر هذا اليوم ، لكي يتم قول المسيح : « من أخذ بالسيف بالسيف يؤخذ» (متى ٢٦ : ٥٢) . (كان الأب موسى لصاً قبل أن يهتدي الى المسيح ويترّهب) . فقال له الاخوة : ونحن أيضاً لا نهرب ، إنما نموت معك . فقال لهم : أنا لست مسؤولاً . فلينظر كل واحد منكم كيف يقيم ههنا . وكانوا سبعة في العدد ، فقال لهم : ها قد اقترب البرابرة من الباب . ولما دخلوا قتلوا الجميع . إلاّ أن واحداً منهم تمكن من الهرب عبر الباب الداخلي ، فرأى سبعة أكاليل قد نزلت وتوجتهم [1] .

١١ ـ سأل أخ الأب موسى قائلاً : إني أرى شيئاً أمامي ولا أقدر أن أمسكه. قال له الأب : إذا لم تصبح ميتاً كهؤلاء المدفونين ، لا يمكنك أن تمسك به .

١٢ ـ قال الأب بيمن إن أخاً سأل الأب موسى : بأية طريقة يميت الانسان نفسه عن

---

(١) ربما حدث هذا سنة ٤١١ أثناء غزوة البرابرة على مصر الغربية آتين من ليبيا .

قريبه ؟ قال له الشيخ : إذا لم يضع الانسان نفسه عقلياً في القبر ثلاثة أيام ، لا يمكنه أن يبلغ إلى قامة هذا الكلام .

١٣ ـ قالوا عن الأب موسى في الاسقيط ، انه لما همّ بالقدوم الى البتراء ، تعب من السير ، فقال في نفسه : وكيف لي أن أجمع الماء الذي أحتاج إليه هنا ؟ فجاءه صوت يقول : تابع ولا تهتم البتة . ثم حدث أن زاره بعض الآباء ، ولم يكن لديه سوى وعاء ماء واحد . فلما أعدّ لهم ليأكلوا نفد ما كان لديه ، فحزن . فدخل وخرج وهو يصلّي إلى الله . وللحال دنت من الصخرة ديمة ممطرة ، فملأت كل أوعيته . فقال له الآباء : أخبرنا يا أبانا لماذا كنت تخرج وتدخل قبل برهة؟ أجابهم : كنت أقاضي الله وأقول له : لماذا أرسلتني الى هنا حيث لا ماء يرتوي به عبيدك . لهذا السبب كنت أدخل وأخرج متوسلاً إليه ، حتى أرسله إلينا .

١٤ ـ قال الأب موسى الحبشي : ينبغي للمرء أن يموت عن قريبه حتى لا يدينه في شيء .

١٥ ـ وقال أيضاً : ينبغي للانسان أن يميت نفسه عن كل امر شرير قبل خروجه من الجسد لكي لا يسيء إلى أحد .

١٦ ـ وقال أيضاً : إذا لم يشعر الانسان في أعماقه أنه خاطىء ، لا يصغي اليه الله . فقال له الأخ : وما معنى قولك أن يشعر الانسان في أعماقه أنه خاطىء ؟ أجابه الأب : إن من يحمل خطاياه لن يرى خطايا قريبه .

١٧ ـ وقال أيضاً : إذا لم تتفق الصلاة مع السيرة ، عبثاً يكون التعب . فقال الأخ : وما معنى اتفاق الصلاة مع السيرة يا أبت؟ أجاب الأب : أقصد أن لا نعمل ما نصلّي من أجله ، إذ أن الانسان عندما يتخلى عن مشيئته ، يتصالح مع الله ، والله يقبل صلاته .

١٨ ـ فسأله الأخ : في كل مسعى للانسان ، ما الذي يساعده فيه ؟ قال الشيخ :

الله هو الذي يعين ، لأنه مكتوب : « الله لنا ملاذ وقوة ، عون لنا في الشدائد التي تكتنفنا» (مزمور ٤٥ : ٢) . قال الأخ : وما نفع الأصوام والأسهار إذاً يا أبت ؟ أجابه الشيخ : هذه من شأنها أن تجعل النفس وديعة متواضعة ، لأنه مكتوب : « أنظر إلى تعبي وتواضعي وأمح كل سيئاتي» (مزمور ٢٤ : ١٨) . فإذا ما جنت النفس كل هذه الثمار ، فإن الله لأجل هذه يتحنن عليها . وقال الأخ للأب : وماذا يعمل الانسان بكل تجربة تأتيه أو بكل فكر من الشرير ؟ قال الشيخ : ينبغي أن يبكي أمام صلاح الله كيما يعينه . ويرتاح للحال ، إذا ما كانت صلاته بمعرفة ، لأنه مكتوب : « الرب معيني فلن أخشى ماذا يصنع بي الانسان» (مزمور ١١٧ : ٦) . فسأله الأخ : إذا ما ضرب انسان عبده لخطيئة اقترفها ، ماذا يقول العبد ؟ أجابه الشيخ : إذا كان عبداً صالحاً يقول : ارحمني لأني خطئت . فقال الأخ : ألا يقول شيئاً آخر ؟ أجابه الشيخ : لا ، لأنه ما أن يجعل اللوم على نفسه ويقول خطئت ، حتّى يتحنّن عليه الرب للحال ، ونهاية هذه جميعها أن لا يدين الانسان قريبه . في الواقع عندما قتلت يد الرب أبكار المصريين ، لم يعد هناك بيت لا ميت فيه . فقال الأخ : وما معنى هذا أيضاً يا أبت ؟ أجابه الشيخ : إذا عكفنا على معاينة خطايانا ، لن نرى خطايا القريب ، لأنه من الجهل أن يترك الانسان ميته ويذهب ليبكي ميت قريبه . أن تموت عن قريبك يعني أن تحمل خطاياك وأن لا تكترث لأي انسان ، صالحاً كان أم شريراً . وأن لا تسيء إلى أحد ، وأن لا تفكر بإساءة أحد في قلبك ، وأن لا تحتقر من خطىء ، وأن لا تطيع من يسيء إلى قريبه ولا تفرح له . لا تثلب أحداً ، إنما قل إن الله يعرف كل واحد . لا توافق المتكلم بالسوء على قريبه . هذا هو معنى الدينونة . لا يكن لك عداوة مع أحد . لا تحقد في قلبك على أحد . لا تمقت من يعادي قريبه . هذا هو السلام . بهذه عزّ نفسك . ولمدة قصيرة يدوم الضيق ، ولكن إلى الأبد تبقى الراحة بنعمة الله ، آمين .

الأب ماتوى

١ ـ قال الأب ماتوى : أريد عملاً خفيفاً ودائماً لا عملاً متعباً في البدء ولكن لا يدوم .

٢ ـ وقال أيضاً : كلما دنا الإنسان من الله يرى كم هو خاطىء . وأشعيا النبي ، عندما رأى الله ، قال عن نفسه إنه بائس ودنس (٦ : ٥) .

٣ ـ وقال أيضاً : عندما كنت شاباً كنت أقول في نفسي : علّني أقوم بعمل صالح . ولكن لما شخت ، أيقنت أنه ليس فيّ عمل صالح البتة .

٤ ـ وقال أيضاً : الشيطان لا يعرف بأي هوى تستسلم النفس . لكنه يبذر دون أن يعرف إن كان سيجني أفكار الزنى ، الثلب ، وسائر الأهواء الأخرى . وحيثما يَرَ ميل النفس يقدم لها بذار الشر .

٥ ـ زار أحد الاخوة الأب ماتوى وسأله : كيف يكون الاسقيطيون قد حققوا أكثر مما يذكره الكتاب ، إذ أحبوا أعداءهم أكثر من أنفسهم ؟ قال له الأب ماتوى : حتى الآن أنا أحب من يحبني ، كنفسي .

٦ ـ سأل أحد الاخوة الأب ماتوى قائلاً : ماذا أعمل إذا جاءني أخ في صوم أو عند الصباح ، لأنني أتضايق ؟ أجابه الشيخ : إذا كنت لا تتضايق وتأكل مع الأخ ، حسناً تفعل . وإذا كنت ترجو أن تأكل دون أن تنتظر أحداً ، فهذا مرهون بإرادتك .

٧ ـ قال الأب يعقوب : كنت بزيارة للأب ماتوى . ولما أردت العودة ، قلت له :

أريد أن أزور القلالي . فقال لي : بلّغ سلامي إلى الأب يوحنا . ولما جئت إلى الأب يوحنا قلت له : يسلّم عليك الأب ماتوى . قال لي الشيخ : الأب ماتوى إسرائيلي حقاً ولا « غش فيه »(يوحنا١ : ٤٩) . وبعد مرور سنة كاملة زرت الأب ماتوى ونقلت له تحية الأب يوحنا ، فقال الشيخ : إني لا أستحق كلام الأب . إنما في جميع الأحوال ، عندما تسمع شيخاً يمتدح قريبه أكثر من نفسه ، اعلم أنه قد بلغ درجة من الكمال رفيعة، لأن هذا هو الكمال ، أن تمجد قريبك أكثر من نفسك .

٨ ـ قال الأب ماتوى : جاءني أخ وقال لي إن الثلب أسوأ من الزنى . فقلت له : قاسية هي الكلمة . قال لي : وكيف تريد أن يكون هذا الأمر ؟ فقلت : الثلب شرّ ، لكنّ شفاءه سريع ، لأن من يثلب يندم مرات عديدة قائلاً : لقد نطقت شراً . أمّا الزنى ، فهو موت طبيعي .

٩ ـ خرج الأب ماتوى من رايثو إلى نواحي « مغذولون » وكان أخوه معه . فأمسكه الأسقف ورسمه كاهناً . ولما كانوا يأكلون ، قال الأسقف : سامحني يا أبت . أعلم أنك لم تكن تريد ذلك ، إلاّ أني تجاسرت وفعلت هذا لكي أتبرّك بك . فأجاب الشيخ بتواضع : لقد رغب فيه فكري قليلاً . إلاّ أن هناك أمراً يزعجني وهو أنه ينبغي أن أنفصل عن الأخ الذي معي ، لأني لا أحتمل أن أتلو كل هذه الصلوات بمفردي . فقال الأسقف : إذا كنت تظن أنه مستحق ، أشرطنه . أجاب الأب ماتوى : لا أعرف إذا كان مستحقاً ، إلاّ أني أعرف أنه أفضل مني . فشرطن ذاك أيضاً . ورقد الإثنان دون أن يلمسا المذبح من أجل إقامة الذبيحة الإلهية . فقال الشيخ : أؤمن بالرب اني لم أخطأ كثيراً من أجل هذه الرسامة ، لأني لا أقدم الذبيحة ، فالرسامة هي للذين بلا عيب .

١٠ ـ قال الأب ماتوى : ذهب إلى الأب بفنوتيوس المسمّى بكفالاس ثلاثة آباء لكي يسألوه أمراً : فقال لهم الشيخ : وماذا تريدون أن أقول لكم ؟ أأمراً

روحياً تريدون أم جسدياً ؟ قالوا : روحياً . قال لهم الشيخ : إذهبوا وأحبوا الضيق أكثر من الراحة ، والاحتقار أكثر من المجد ، والعطاء أكثر من الأخذ .

١١ ـ سأل أحد الاخوة الأب ماتوى قائلاً : قل لي كلمة . أجابه : إذهب وتضرع إلى الرب أن يجعل في قلبك الحزن والتواضع ، وانتبه لخطاياك دائماً ، ولا تدن أحداً . كن دون الجميع . لا تصاحب ولداً ، ولا تكن لك معرفة بامرأة أو صديق هرطوقي . اقطع التكلم علانية وامسك لسانك وبطنك . تجنب الخمرة . وإذا تحدث أحد في أمر ما ، لا تجادله . فإذا قال ما هو حسن ، فقل : نعم . وإذا نطق بالسوء ، قل له : أنت تعرف ما تقول . لا تحاججه في ما يقوله . هذا هو التواضع .

١٢ ـ سأل أحد الاخوة الأب ماتوى قائلاً : قل لي كلمة . أجابه الأب : اقطع من نفسك كل جدل . أبك ونح ، لأن الوقت قد اقترب .

١٣ ـ سأل أحد الاخوة الأب ماتوى قائلاً : ماذا أعمل ولساني يزعجني ؟ عندما أكون بين الناس لا أقدر أن أضبطه . بل أدين الجميع وأبكتهم على كل شيء ؟ ماذا أعمل ؟ أجابه الأب : إذا كنت لا تقدر أن تمسك نفسك ، إذهب واعتزل ، لأن في ذلك ضعفاً . فإن من يقيم بين الاخوة لا يجوز أن يكون رباعياً بل دائرياً ، كيما يدور باتجاه الجميع . وقال الشيخ : وأنا لست لوحدي بسبب الفضيلة ، إنما بداعي الضعف ، لأن الذين يأتون إلى وسط الناس هم أقوياء .

الأب مرقس تلميذ الأب سلوان

١ ـ قالوا عن الأب سلوان إنه كان عنده تلميذ في الاسقيط يدعى مرقس . وكان مرقس هذا مطيعاً جداً وخطّاطاً ماهراً . فأحبه سلوان لطاعته . وكان للأب سلوان أحد عشر تلميذاً آخرين كانوا يتضايقون لأن سلوان كان يحب مرقس أكثر منهم . فلما علم الآباء بهذا حزنوا وجاؤوا إليه في إحدى المرّات وعاتبوه . أمّا هو فأخذهم وذهب وإياهم خارج القلاية وقرع بابها قائلاً : يا أخي فلان ، تعال إليّ إلى ههنا لأني بحاجة إليك . فلم يستجب أحد منهم لطلبه فوراً ، لكن لما جاء إلى قلاية تلميذه مرقس ، قرع الباب وقال : يا مرقس . وللحال ، ما إن سمع مرقس قرع الباب وأن أباه يناديه حتى قفز خارجاً ، فأرسله للخدمة . ثم قال للشيوخ : أين هم الاخوة الآخرون يا آبائي ؟ ولما دخل قلايته ، تفحّص دفتره ، فوجد أنه قد وضع يده ليكتب حرف الياء ، لكن عندما سمع صوت الشيخ ، للحال لم يدر قلمه لإكمال الحرف . فقال الآباء : في الحقيقة يا أبت ، إن مرقس الذي تحب نحبه نحن أيضاً ، والله أيضا يحبه .

٢ ـ قالوا عن الأب سلوان إنه ، بينما كان يمشي مع الشيوخ في الاسقيط ، أراد أن يظهر لهم طاعة تلميذه التي من أجلها يحبه . فلما رأى خنزيراً برّياً صغيراً ، قال له : هل ترى ذلك الجاموس الصغير يا ولدي ؟ أجابه التلميذ : نعم يا أبت . وقرناه ، ألا تراهما جميلين ؟ قال : نعم يا أبت . فتعجب الشيوخ من جوابه وتشددوا بسبب طاعته .

٣ ـ نزلت ، ذات مرة ، والدة الأب مرقس إلى الاسقيط لتراه . وكانت مزيّنة المنظر

للغاية ، فخرج الشيخ للقائها ، فقالت له : يا أبت ، قل لولدي أن يخرج لكي أراه . فدخل الشيخ وقال له : أخرج يا ولدي لتراك أمك . أمّا هو فكان يرتدي ثياباً رثة ومتسخة من دخان المطبخ . فلما خرج بسبب الطاعة ، أغمض عينيه وقال لهم : أرجو أن تخلصوا ، أرجو أن تخلصوا ، أرجو أن تخلصوا ، دون أن يرى أحداً منهم . أمّا أمه فلم تعرفه . فأرسلت من جديد تسأل الشيخ عنه وتقول : يا أبت ، أرسل لي ولدي لكي أراه . فقال له مرقس : لقد خرجت حسب كلامك يا أبت ، إلاّ أني أرجوك ألاّ تطلب مني الخروج ثانية ، خشية أن أعصي أمرك . فخرج الشيخ وقال لها : إن من صادفك وقال أرجو أن تخلصوا ، أرجو أن تخلصوا ، أرجو أن تخلصوا . . . هو ابنك نفسه . ولما عزّى قلبها أطلقها .

٤ ـ حدث مرة أن غادر الاسقيط إلى جبل سينا ليقيم هناك . فأرسلت والدة مرقس تستحلفه بدموع كي يخرج ابنها لتراه . فأذن له الشيخ . ولما كان يعدّ الجلد ليخرج ، جاء إلى الشيخ ليحييه ، وللحال أجهش بالبكاء ولم يخرج .

٥ ـ قالوا عن الأب سلوان إنه ، لما أراد أن يرحل إلى سوريا ، قال له تلميذه مرقس : يا أبت ، لا أريد الخروج من هنا ، وأنت نفسك لن أدعك تخرج أيضاً . لكن أقم ههنا ثلاثة أيام . وفي اليوم الثالث رقد .

الأب ميليسيوس

١ ـ بينما كان الأب ميليسيوس يجتاز أحد الأمكنة رأى إنساناً يمسك راهباً بتهمة القتل ، فدنا الشيخ وسأل الأخ عن سبب ذلك . ولما علم أنه قد وشي به ، قال للذين كانوا يمسكون به : أين هو المقتول ؟ فأروه إياه ، فدنا منه وطلب من الجميع أن يصلّوا . ولما مد يديه نحو العلاء ، قام الميت ، فقال له أمام جميع الحاضرين : قل لنا من قتلك ؟ فقال : عندما دخلت الكنيسة أعطيت الكاهن مالاً ، فنهض وقتلني ثم نقلني ورماني في دير الأب . لكني أستحلفك بالله أن تسترجع الأموال وتعطيها لأولادي . عندئذ قال له الشيخ : إذهب ونم حتى يأتي الرب ويقيمك .

٢ ـ بينما كان الأب ميليسيوس يقيم مع تلميذين عند تخوم برسيذس ، خرج ابنا الملك ، أخَوان في اللحم والدم ، للصيد حسب العادة ، فنصبا فخاخهما في رقعة كبيرة تبلغ زهاء أربعين ميلاً حتى يقتنصا ويقتلا بالسهام كل طريدة تقع في نطاق الفخاخ المنصوبة . وحدث أن كان الشيخ مع تلميذيه ، فشاهدا ذا الشعر كالوحش ، فاقتربا منه وقالا له : أأنت روح أم إنسان ؟ قل لنا . فقال لهما : أنا إنسان خاطىء أتيت إلى هنا لأبكي خطاياي وأسجد وأكرّم يسوع المسيح ابن الله الحي . فقالا له : ليس ثمة إله آخر سوى الشمس والنار والماء (التي كانوا يكرّمونها) . لكن تعال وقدّم لها الذبائح . أمّا هو فقال لهما : إنما هذه مخلوقات ، وأنتما قد ضللتما ، لذا أنصحكما أن تعودا عن غيكما وتعودا وتعرفا الإله الحقيقي الذي أبدع كل المبروءات . فقالا له : هذا الذي حُكم عليه وصلب ، أتقول إنه الإله الحقيقي ؟ أجاب الشيخ : إن هذا الذي صلب

الخطيئة وأمات الموت ، هو الإله الحقيقي . أمّا هذان ، فعذّبا الشيخ وتلميذيه وارغماهم على الذبح للأوثان . بعد ذلك قطعا هامتي التلميذين ، وأمّا الشيخ فقد لبثا يعذبانه ثم بعد ذلك أقاماه في الوسط وأخذا يرميانه بسهامهما الواحد من الإمام والآخر من الخلف . فقال لهما : ما دمتما قد اتفقتما على سفك دم بريء ، فإني أقول لكما إنه في رمية واحدة غداً في مثل هذا الوقت ، ستفقدكما أمكما وتحرم من محبتكما إذ ستسفكان أحدكما دم الآخر ، بسهامكما ، فسخرا من كلامه . وفي اليوم التالي ، انطلقا الى الصيد ، فصادفا غزالاً ، فركبا خيلهما وجدّا في أثره ، فأطلقا عليه سهامهما إلاّ انها التصقت بنحريهما ، حسب كلام الشيخ ، فسقطا صريعين .

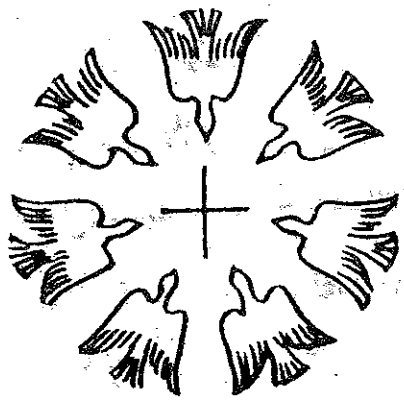

الأب موتيوس

١ ـ سأل أخ الأب موتيوس قائلاً : إذا تركت العالم لأسكن في مكان ، كيف تريدني أن أعيش هناك ؟ أجابه الشيخ : إذا سكنت في مكان ، لا تفكر أن يكون لك فيه اسم في أي شيء . أي «لا أخرج إلى الإجتماع »، أو « ولا آكل في وليمة المحبة » ، لأن هذه تولد اسماً كاذباً ومن ثم ينوبك الغمّ والإنزعاج . فالناس يتهافتون حيث يجدون مثل هذا . قال له الأخ : إذاً ، ماذا أعمل ؟ أجابه الشيخ : حيث تقيم ، ليكن سلوكك كسلوك الجميع . ومهما يفعل الأتقياء الذين تثق بهم ، افعله أنت أيضاً ، فترتاح ، لأن التواضع هو أن تكون مساوياً لهم . فالناس إذ يرونك تعمل بالقانون ولا تحيد عنه ، سيجعلونك في رتبة الجميع ، وهكذا لا يزعجونك .

٢ ـ تحدث عن الأب موتيوس تلميذه الأب اسحق (وصار كلاهما فيما بعد أسقُفَيْن) ، أن الشيخ بنى للمرة الأولى ديراً في أراكلة . ولما انتقل الى موضع آخر ، بنى ديراً آخر . وبفعل الشيطان ، وجد هناك أخ كان يعاديه ويزعجه . عندئذ نهض الشيخ وتوجه إلى قريته ، وبنى فيها ديراً حبس نفسه فيه . وبعد مدة جاء إليه شيوخ الدير الذي غادره ، واخذوا الأخ الذي كان يسبب له الحزن وقصدوا الدير متضرعين أن يقبله فيه . فلما دنوا من الموضع الذي كان فيه الأب سوريس ، تركوا امتعتهم والأخ الذي أحزنه . ولما قرعوا الباب ، وضع الشيخ السلّم وانحنى من الشباك ، ولما عرفهم قال : أين هي ملابسكم ؟ قالوا : إنها هنا مع الأخ . فما إن سمع الشيخ اسم الأخ الذي كان يزعجه حتى ضرب الباب بالفأس وكسره من فرحه وطفق يركض إلى حيث كان

الأخ . ولما دنا منه سجد له وعانقه وأدخله الى قلايتهٔ ، وسرَّ به ثلاثة أيام . ففرح الأخ لهذا الإستقبال فرحاً عظيماً ، وهذا أمر لم يكن معتاداً على القيام به . ثم نهض وذهب معهم . وبعد حين رسم أسقفاً ، لأنه كان يجترح العجائب . أمّا تلميذه اسحق ، فقد رسمه المغبوط كيرلس أسقفاً أيضاً .

الأب مياثيوس

١ ـ قالوا عن الأب مياثيوس إنه كان يخرج من قلايته حتى ولو جاءه فكر يدعوه إلى مغادرة المكان . ولم يكن يعود إليها ، لأنه لم يكن يملك شيئاً مادياً من هذا الزمان الحاضر، سوى آلة حادة كان يقطع بها الخوص . وكان ينجز في اليوم الواحد ثلاث سلال ، أي مقدار ما يحتاج إليه من أجل الطعام .

٢ ـ قالوا عن مياثيوس ثان ، إنه كان متواضعاً جداً ، وكان قد تدرّب على يد مصريين عديدين وعاشر شيوخاً كثيرين أمثال الأب سيسوى والأب بيمن . وقد أقام عند نهر صغير في سينا . وحدث أن زاره أحد القديسين كما قال هو نفسه وقال له : كيف تمضي وقتك في هذه البرية يا أخي ؟ أجابه : أصوم كل يوم يومين وآكل خبزة واحدة فقط . فقال لي : إذا أردت أن تسمع لي ، تناول طعاماً كل يوم مقدار نصف رغيف . فلما فعل كما أوعز إليه وجد راحة .

٣ ـ سأل بعض الآباء الأب مياثيوس قائلين : إذا فضل طعام لليوم التالي ، هل تريد أن يأكله الاخوة ؟ قال : إذا فسد ، لا يحسن أن نلزم الاخوة به ، لئلا يمرضوا ، لذا نرميه . ولكن إذا كان شهيّاً صالحاً للأكل ورمي بسبب الترف ، وطبخ سواه ، فهذا أمر رديء .

٤ ـ وقال أيضاً : في البدء ، لما كنا نجتمع معاً ونتباحث في أمور نافعة ، بانين بعضنا بعضاً ، كنا نصير أجواقاً أجواقاً ونرتفع إلى السموات . ولكن الآن عندما نجتمع ليدين أحدنا أخاه ، فإننا نهبط إلى أسفل .

الأب ميّوس

١ ـ قال الأب ميوس الـذي من فيليوس : الطاعـة تكون من أجـل الطاعــة . فالانسان إذا أطاع الله فإن الله يطيعه .

٢ ـ قال أيضاً عن أحد الشيوخ إنه كان في الإسقيط وكان من العبيد وكان شديد التمييز . وكان يأتي كل سنة إلى الاسكندرية ، لكي يقدّم الأجرة لأسياده . وهؤلاء كانوا يأتون للقائـه ويسجـدون له . أمّـا الشيخ فكان يضـع الماء في المغسلة ويحمله ليغسل به أرجل أسياده . لكنهم كانوا يقولون له : لا يا أبانا ، لا تُحزِنّا . فكان يجيبهم : اعترف بأني عبدكم ، لكني أغسل أرجلكم لكي أشكركم لأنكم تركتموني حرّاً لخدمة الرب كعبد . لهذا اقبلوا أجرتي هذه . أمّا هم فكانوا يخاصمونه رافضين طلبه ، وهـو كان يقـول لهـم : إذا لم تقبلـوا أجرتي ، فإني سأقيم هنا لأخدمكم . وإذ خافوا أن يفعل كما يقول ، تركوه وشأنه . إلاّ أنهم كانوا يشيّعونه بالكثير من الاحترام والاجـلال لكي يصنـع الرحمة من أجلهم ، لأجل هذا صار معروفاً في الاسقيط ومحبوباً .

٣ ـ سأل أحد الجنود الأب ميوس قائلاً : هل يقبل الله التوبة يا أبت؟ أمّا هو فبعد تلقينه أموراً ايمانية كثيرة ، قال له : قل لي يا حبيبي ، إذا تمزق ثوبك ، هل ترميه خارجاً ، أم ترتقه ؟ أجابه الجندي : بل أرتقه . فقـال له الشيخ : إذاً ، إذا كنت أنت تبقي على ثوبك ، ألا يبقي الله على خليقته ؟ .

الأب مرقس المصري

١ ـ قالوا عن الأب مرقس المصري إنه أقام في قلايته ثلاثين سنة لم يخرج منها أبداً . وكان من عادة الكاهن أن يأتي اليه لكي يصنع له القربان . فلما رأى الشيطان صبره الفاضل ، غضب ، وأراد أن يجربه بالدينونة . فأوعز الى انسان فيه روح شرير أن يأتيه بحجة الصلاة . فجاء هذا الى الشيخ ، وقبل البدء بأية كلمة ، خاطب الشيخ قائلاً له : إن كاهنك له رائحة الخطيئة ، فلا تدعه بعد اليوم يدخل إلى قلايتك . أمّا الشيخ الملهم من الله فقال له : يا ولدي ، الكل يطرحون الفساد خارجاً ، أمّا أنت فقد أحضرته اليّ . ولكنه مكتوب : « لا تدينوا لئلا تدانوا» (متى ٧:١) .فالكاهن وإن كان خاطئاً إلاّ أنّ الرب يخلصه . لأنه قد كتب أيضاً : « صلّوا من أجل بعضكم لتشفوا» (يعقوب ٥ : ١٦) . بهذه الكلمات أخرج الأب مرقس الشيطان من الانسان ، بعد أن صلّى عليه ثم أطلقه صحيحاً معافى . أمّا الكاهن ، فكان يأتي حسب مألوف العادة إلى عند الأب مرقس ، وهذا كان دائماً يقبله بفرح . فحينما رأى الله الصالح براءة مرقس أظهر له آية . فالكاهن عندما أزمع أن يقف أمام المائدة المقدسة كما تحدث الشيخ ، كان الأب مرقس يرى ملاك الرب ينزل من السماء ويضع يده على رأس الكاهن فيستحيل الى عامود من نار . أمّا الأب مرقس فلما تعجب لهذا المنظر ، سمع صوتاً يقول : يا أيها الانسان ، لماذا تتعجب لهذا الأمر ؟ إذا كان الملك الأرضي لا يترك الذين أمامه ، فكم بالأحرى القوة الالهية !ألا تطهّر، أي القوة الالهية ، الذين يقيمون الأسرار المقدسة منتصبين أمام المجد السماوي ؟ فمجاهد المسيح مرقس المصري قد صار كبيراً واستحق هذه الموهبة ، لأنه لم يرد أن يدين ذلك الكاهن .

الأب مكاريوس المدنيّ

١ ـ ذات يوم ، ذهب الأب مكاريوس المدنيّ ليقطع الخوص ، وكان الاخوة معه . فقالوا له في اليوم الأول : هلمّ وكل معنا يا أبانا . فمضى وأكل . وفي اليوم التالي طلبوا منه أن يأكل معهم أيضاً . فأبى أن يأكل ، وقال لهم : أنتم تحتاجون إلى الطعام يا أولادي ، لأنكم ما تزالون جسداً ، لكن أنا لا أريد أن آكل الآن .

٢ ـ زار الأب مكاريوس الأب باخوميوس التافنسيوتي ، فسأله باخوميوس : عندما يكون عندنا اخوة بطّالون ، هل يحسن أن نعاقبهم ؟ أجابه الأب مكاريوس : عاقب واحكم بعدل من هم تحت امرتك ، لكن لا تدن أحداً من خارج ، لأنه قد كتب « أنتم ألا تدينون الذين هم من داخل ، أمّا الذين من خارج ، فالرب يدينهم ؟ » (١ كور ٥ : ١٢) .

٣ ـ كان الأب مكاريوس يزور أحد الاخوة يومياً لمدة أربعة أشهر . فلم يجده ولا مرة قد فرغ من الصلاة ، فتعجب وقال له : أنت ملاك أرضي حقاً .

الأب نيلوس

١ ـ قال الأب نيلوس : مهما فعلت وأنت تقاوم أخاً قد ظلمك ، سيدخل الى قلبك ساعة الصلاة .

٢ ـ وقال أيضاً : الصلاة برعم الوداعة وعدم الغضب .

٣ ـ وقال أيضاً : الصلاة دواء للفتور والأحزان.

٤ ـ وقال أيضاً : لكي تتمكن من الصلاة دون ارتباك ، إذهب وبع كل ما لك وأعطه للمساكين ثم احمل صليبك وأنكِرْ نفسك .

٥ ـ وقال أيضاً : إن كل ما تتأمل فيه وأنت صابر ، ستجني ثمرَه ساعة الصلاة .

٦ ـ وقال أيضاً : إذا أردت أن تصلّي كما يجب ، لا تُحزن أحداً ، وإلاّ فأنت تسعى عبثاً .

٧ ـ وقال أيضاً : لا ترغب في أن تأتي الأمور وفقاً لما تتمنى ، إنما وفقاً لمشيئة الله ، وهكذا تكون بدون اضطراب ولاهمّ ومسروراً في صلاتك .

٨ ـ وقال أيضاً : هنيئاً للراهب الذي يعتبر نفسه نفاية الكل .

٩ ـ وقال أيضاً : إن الراهب الذي يحب السكينة ، لا يمكن لسهام العدو أن تجرحه . أمّا من يتدخل في كل شيء ، فإنه سيحتمل جراحات مستمرة .

١٠ ـ وقال أيضاً : إن العبد الذي يهمل عمل سيده ، فليعد نفسه للضرب بالسياط (لوقا ١٢ : ٤٧) .

الأب نيسثروس

١ ـ بينما كان الأب نيسثروس يمشي مع أحد الاخوة في البرية ، رأى تنيناً ، فهرب . فقال له الأخ : وأنت أيضاً تخاف يا أبتِ ؟ أجابه الشيخ : أنا لا أخاف يا ولدي ، لكن خير لي أن أهرب ،وإلاّ فلن يمكنني أن أهرب من روح المجد الفارغ .

٢ ـ سأل أحد الاخوة شيخاً وقال له : ما هو الشيء الصالح الذي أقدر أن أعمله وأحيا به ؟ أجابه الشيخ : الله يعرف الصلاح . إلاّ أني سمعت أن أحد الآباء سأل الأب نيسثروس الكبير ، صديق الأب أنطونيوس ، وقال له : ما هو العمل الصالح حتى أعمله ؟ أجابه الأب : أليست كل الأعمال متساوية ؟ يقول الكتاب إن ابراهيم كان مضيفاً وكان الرب معه . وإيليا أحب السكينة ، وكان الرب معه . وداود كان متواضعاً ، وكان الرب معه . إذاً ، ما تظن أن نفسك تريده ، وفقاً لمشيئة الله ، هذا اعمله واحفظه في قلبك .

٣ ـ قال الأب يوسف للأب نيسثروس : ماذا أعمل بلساني الذي لا أقدر أن ألجمه ؟ قال له الشيخ : إذا تكلمت ، هل تشعر بالراحة ؟ قال له : لا . فقال الشيخ : إذا لم تشعر بالراحة ، لماذا تتكلم ؟ أليس الأفضل أن تصمت ؟ وإذا كنت في مناقشة ، فليكن إصغاؤك أكثر من كلامك .

٤ ـ رأى أحد الاخوة الأب نيسثروس يلبس معطفين ، فسأله : إذا جاءك فقير وطلب منك لباساً ، أيهما تقدم له ؟ فأجابه الأب وقال : نصف المعطف الثاني . فقال الأخ : وإذا جاءك ثالث ، ماذا تقدم له ؟ قال الشيخ : سأقص

الباقي وأعطيه نصفه وأتمنطق بالنصف الآخر . ثم قال له الأخ : وإذا جاءك آخر يطلب ما بقي لك ، ماذا تفعل ؟ أجابه الشيخ : سأعطيه ما عندي وأذهب لأقيم في مكان يرسل الله لي فيه ما يسترني به ، لأني لن أطلب حاجتي من أحد .

٥ ـ قال الأب نيسثروس : على الراهب أن يحاسب نفسه كل مساء وكل صباح : ماذا فعلت مما يريده الله ؟ وماذا فعلت مما لا يريده ؟ وهذا نحققه طوال حياتنا ، لأن الأب أرسانيوس هكذا عاش ، إذ اهتم ، كل يوم ، أن يقف أمام الله بدون خطيئة . هكذا صلّ الى الله كشخص في حضرة شخص آخر ، لأن الله حاضر فعلاً : لا تجعل نفسك مشرِّعاً ولا تدين أحداً . فمن الغريب بالنسبة للراهب أن يقسم أو أن يحنث ، أو أن يكذب ، أو أن يلعن ، أو أن يشتم ، أو أن يضحك ، لأن من يكرّم نفسه ويرفعها فوق استحقاقها يهلك .

الأب نيسثروس الذي في شركة

١ ـ قال الأب بيمن عن الأب نيسثروس إنه كان كالحية النحاسية التي صنعها موسى لشفاء الشعب ، حائزاً على كل فضيلة ، وبصمته كان يشفي الجميع .

٢ ـ لما سأل الأب بيمن الأب نيسثروس من أين اقتنيت هذه الفضيلة حتى إنه كلّما لحقت بك مصيبة أو ضيق من الشركة فلا تتكلم ولا تطلب وساطة أحد ؟ أجابه الأب : سامحني يا أبت ، لأني مذ دخلت الدير وأنا أقول لنفسي : « أنت والحمار واحد» . فكما أن الحمار يُربط فلا يتكلم ، يُشتم فلا يجيب ، هكذا أنت كما يقول المرنم : « صرت كالبهيمة لديك، ومع هذا فأنا معك في كلّ حين » (مزمور ٧٢ : ٢٢) .

الأب نيكون

١ ـ سأل أخ أحد الآباء قائلاً : كيف يجرِّب الشيطان القديسين ؟ قال له الشيخ : كان أحد الآباء واسمه نيكون يقيم في جبل سيناء، فحدث أن رجلاً زار خيمة أحد الفرانيتيين فرأى ابنته وحدها فسقط معها وقال لها : قولي إن الراهب نيكون فعل بي هكذا . فلما عاد أبوها وعلم بما جرى ، حمل سيفه ومضى الى الشيخ نيكون . فلما قرع الباب خرج الشيخ . فمدّ سيفه ليقتله ، فيبست يده . فمضى الفرانيتي وقال للكهنة وهؤلاء أرسلوا الى الأب نيكون يطلبون منه أن يأتي . وبعد أن أشبعوه ضرباً أرادوا أن يطردوه ، فتوسل اليهم قائلاً : أتركوني هنا حباً بالله لكي أتوب . ففصلوه عن الشركة ثلاث سنوات ومنعوا كل انسان من زيارته . فقضى هذه المدة وهو يأتي كل أحد تائباً وكان يتوسل الى الجميع قائلاً : صلّوا لأجلي . بعد ذلك ، حدث أنّ من ارتكب الذنب وألقى التهمة على الراهب ، كان فيه شيطان، فاعترف في الكنيسة : إنني أنا الذي فعلت ذلك وقد وشيت بعبد الله وأتهمته . فمضى كل الشعب للاعتذار من الشيخ قائلين : سامحنا يا أبانا وأمكث معنا . فقال لهم : أمّا من جهة المسامحة ، فها قد سامحتكم ، أمّا من جهة بقائي ، فلن أبقى معكم لأنه لم يوجد واحد منكم يتمتع بالتمييز لكي يتعاطف معي . وهكذا رحل عنهم . فقال الشيخ : أترى الآن كيف يجرِّب الشيطان القديسين؟

الأب نترا

١ ـ قيل عن الأب نترا تلميذ الأب سلوان إنه عندما كان يقيم في قلايته في جبل سيناء، كان يحفظ حاجة الجسد باعتدال . ولما صار أسقفاً على « فران » ، كان يضغط على نفسه بقساوة النسك ، فقال له تلميذه : يا أبت ، عندما كنا في البرية لم تكن تروِّض نفسك هكذا . أجابه الشيخ : هناك كانت البرية والسكينة والفقر ، فأردت أن أسود على الجسد لئلا أمرض فأطلب ما لم يكن عندي . ولكن هنا عندنا العالم وكل الفرص . وإذا أصابني المرض هنا ، سأجد من يساعدني لئلا أفقد صفتي الرهبانية .

الأب نيكيتا

١ ـ قال الأب نيكيتا إنّ أخوين قررا أن يقيما معاً . ففكر الواحد منهما في نفسه أنه مهما يريد أخي أفعله . والآخر فكر الشيء نفسه بقوله : « سأفعل مشيئة أخي» . فعاش الاثنان معاً سنوات كثيرة بمحبة كبيرة . فرأى العدو هذا ، فخرج ليفصل بينهما . فوقف عند الباب الخارجي فبدا للواحد كحمامة ، وللآخر كعقعق (غراب) . فقال الأول : هل ترى هذه الحمامة ؟ قال الثاني : إنه عقعق . ثم شرع الاثنان بالخصام كل واحد مؤكداً وجهة نظره . ثم إنهما تشابكا حتى الدم ، وافترقا ، فصار هذا فرحاً عظيماً للشرير . وبعد ثلاثة أيام ، عاد كل منهما الى نفسه وتأمل فيها بهدوء وصنع كل واحد للآخر مطانية واعترفا أمام بعضهما بما بدا لكل منهما . ولما فهما حرب العدو مكثا حتى النهاية معاً ، دون أن يفترقا .

الأب كسويس

١ ـ سأل أخ الأب كسويس قائلاً : إذا حدث أنني كنتُ في مكان ما وأكلت ثلاث خبزات ، فهل هذا العدد كبير ؟ أجابه الشيخ : هل أتيت إلى البيدر يا أخي ؟[1] فقال له ثانية : إذا شربت ثلاثة كؤوس من الخمر فهل هذا العدد كبير ؟ أجابه الشيخ : إذا لم يكن هناك شيطان ، ليس العدد بكبير ، ولكن إذا كان هناك شيطان ، عندئذ فإن العدد كبير جداً . فالخمر غريب عن الرهبان الذين يعيشون وفقاً لمشيئة الله .

٢ ـ قال أحد الآباء عن الأب كسويس الذي من طيبة إنه دخل مرة إلى جبل سيناء ، ولما خرج قابله أخ قائلاً بتنهد : نحن في ضيق يا أبت ، لأن السماء لا تمطر علينا . أجابه الشيخ : ولماذا لا تصلّون وتتضرعون إلى الله ؟ قال الأخ : نحن نصلّي ونتلو الأدعية الطويلة ، لكن المطر لا ينزل . قال له الشيخ : أرى أنكم لا تصلّون بحرارة . هل تريد أن تعلم أن الأمر هو هكذا ؟ فرفع يديه نحو السماء للصلاة وللحال أمطرت . فلما رأى الأخ هذا ، خاف وسقط على وجهه وسجد له . عندئذ هرب الشيخ . فذهب الأخ وأعلم الجميع بما جرى . والذين سمعوا هذا ، مجّدوا الله .

---

(١) ثلاثة أرغفة كثيرة على الراهب . فهذا المقدار يأكله الثور الذي يدرس الغلال على البيدر . (انظر ابراهيم ٢ وبيمن ١٩).

الأب كسنثيا

١ ـ قال الأب كسنثيا : اللص الذي كان على الصليب تبرّر بكلمة واحدة . ويهوذا الذي كان في مصاف الرسل خسر ، في ليلةٍ واحدة ، كل ما كان له وانحدر من السماء الى الجحيم . لأجل هذا لا يفتخر أحد ممن يحيون حياة مترَفة ، لأن الذين يعتمدون على أنفسهم يسقطون .

٢ ـ صعد ذات يوم الأب كسنثيا من الاسقيط الى ترينوثي . وعندما وجد المكان ، قدّموا له من أجل تعب النسك قليلاً من الخمر . فلما سمع به البعض ، جاؤوه بإنسان فيه شيطان . فبدأ الشيطان يشتم الشيخ ويقول : أإلى هذا السكران أتيتم بي ؟ أمّا الشيخ ، فلم يشأ أن يخرجه بسبب الشتائم . لكنه قال : أؤمن بالمسيح إني لن أنتهي من هذه الكأس حتى تكون قد خرجت . فلما بدأ يشرب ، صرخ الشيطان وزمجر قائلاً : أنت تحرقني ، أنت تحرقني . وقبل أن ينهي الشيخ كأسه ، خرج الشيطان بنعمة المسيح .

٣ ـ هو نفسه قال : الكلب أفضل مني ، لأن عنده محبة ، ولا يأتي إلى دينونة أحد .

الأب اوليمبيوس

١ ـ قال الأب اوليمبيوس : نزل مرة أحد كهنة الهلينيين إلى الاسقيط وجاء إلى قلايتي ونام . فلما رأى سلوك الرهبان ، قال لي : ما دمتم تحيون هكذا ، ألا ترون في الرؤيا شيئاً إلى جانب إلهكم ؟ قلت له : لا . قال لي الكاهن : نحن عندما نكهن لإلهنا ، لا يخفي علينا شيئاً ، بل يكشف لنا كل أسراره . وأنتم الذين تبذلون أتعاباً كذا مقدارها ، أي أصواماً وهدوءاً ورياضات نسكية ، كيف تقول إننا لا نرى شيئاً ؟ على كل حال ، إذا لم تشاهدوا من هذا القبيل ، عندئذ لا بدّ أن في قلوبكم أفكاراً شريرة تفصلكم عن إلهكم ، لهذا السبب لا يكشف لكم أسراره . فذهبت ونقلت كلام هذا الكاهن الى الآباء ، فتعجبوا وقالوا إن الأمر هو هكذا ، لأن الأفكار الدنسة تفصل الانسان عن الله .

٢ ـ حورب الأب اوليمبيوس الذي من القلالي بالزنى . فقال له فكره : إذهب وخذ امرأة . فنهض وجبل طيناً وصنع منه امرأة ، ثم قال لنفسه : هذه هي امرأتك ، لذا لا بدّ لك من العمل الكثير الآن لكي تعولها . وهكذا صار يعمل كثيراً ويتعب . وبعد أيام ، جبل طيناً آخر ، وصنع منه ابنة ، وقال لفكره : ها قد وضعت زوجتك ، فلا بدّ أن تعمل أكثر لكي تعول ابنتك أيضاً وتقدم لها الملبس وكل ما تحتاج اليه . ولما فعل هكذا أرهق جداً ، فقال لفكره : لا أستطيع فيما بعد أن أحتمل التعب . ثم قال : إذا كنت لا تقدر أن تحتمل التعب ، لا تطلب الزواج من امرأة . فلما رأى الله تعبه ، أبعد عنه الحرب ، فارتاح .

الأب أورسيسيوس

١ ـ قال الأب أورسيسيوس : الطوب غير المطبوخ عندما يوضع في أساس قرب النهر ، لا يصمد يوماً واحداً ، أمّا المطبوخ فيصمد كالحجر . هكذا الإنسان الذي فيه فكر جسدي لم ينصهر بمخافة الله ، كما حصل ليوسف ، فإنه سرعان ما يتداعى ويسقط عندما يتسلم مسؤولية ، لأن أمثال هؤلاء تحل بهم تجارب كثيرة ، كونهم يعيشون وسط الناس . لكن حسن أن يترك الإنسان عبء المسؤولية عندما يعرف حدود قدرته . أمّا الثابتون في الإيمان فإنهم لا يتزعزعون . لذا إن اراد أحد الكلام على يوسف الكلّي الطهر ، فإنه يقول إنه ما كان أرضياً . كيف أتته التجربة ؟ في أي بلد ؟ كيف أتته ما دام ليس هناك من أثر للتقوى الإلهية بعد ؟ إن إله آبائه كان معه وأخرجه من كل ضيق . والآن يرتع مع آبائه في السموات . ونحن إذاً ، بما أننا عرفنا حدود قاماتنا فلنجاهد لأننا هكذا فقط نستطيع أن نتجنب دينونة الله .

٢ ـ وقال أيضاً : أعتقد أن الإنسان إذا لم يحفظ قلبه جيداً ، فإنه سرعان ما ينسى ويهمل ما قد سمع . هكذا إذا وجد العدو فيه مكاناً ، يقتحمه ، لأنه كما أن السراج الذي أُعدّ ليضيء ، إذا أهملنا وضع الزيت فيه ، فإنه ينطفىء تدريجياً ، ومن ثم تقوى عليه الظلمة . وليس هذا فقط ، لكن يحدث مراراً أن يأتي إليه فأر ويحاول أن يقضم فتيله ، في حين أنه ما كان يقدر على ذلك قبل انطفاء الفتيل . فالفأر إذا ما رأى أن السراج ليس نوراً ولا حرارة ، عندئذ يلتهم الفتيل ويتلف السراج . وإذا كان من خزف يكسره . وإذا كان من

نحاس ، فإن رب البيت يُضطر إلى إصلاحه من جديد . هكذا النفس ، إذا تقاعست فإن الروح القدس يتخلى عنها تدريجياً حتى تنطفىء حرارتها ، عندئذ يهاجمها العدو ويلتهم كل نشاطاتها ، وبشرّه ، يهلك الجسد أيضاً . ولكن إذا كان الإنسان جيداً في استعداده إلى الله ، ولكن يستولي عليه الكسل قليلاً ، فإن الله كرحيم ، يسكب فيه مخافته ، وذكر العقاب ، فيقوّيه ليسهر ويصحو ، ويحفظ نفسه بكل أمان حتى حضور الله وافتقاده .